بن هوت
(مخطوط العزيف)

اسم الكتاب: برهوت (مخطوط العزيف)

التأليف: سارة خميس

نوع العمل: رواية

مراجعة وإخراج فني: سالم عبد المعز (عمرو سواح)

رقم الإيداع: 2021 / 7577

الترقيم الدولي: 978-977-835-243-6

الناشر: دار زحمة كُتَّاب للنشر والتوزيع

١٥ ش السباق – مول المريلاند – مصر الجديدة – مصر

دار زحمة كتاب للنشر

Facebook

Email za7ma-kotab@hotmail.com

Tel 002 01205100596

002 01100662595

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة ©

لدار زحمة كُتَّاب للنشر

لا يحق لأي جهة طبع أو نسخ أو بيع هذه المادة بأي شكل من الأشكال ومن يفعل ذلك يعرض نفسه للمساءلة القانونية

برهوت

(مخطوط العزيف)

رواية

سارة خميس

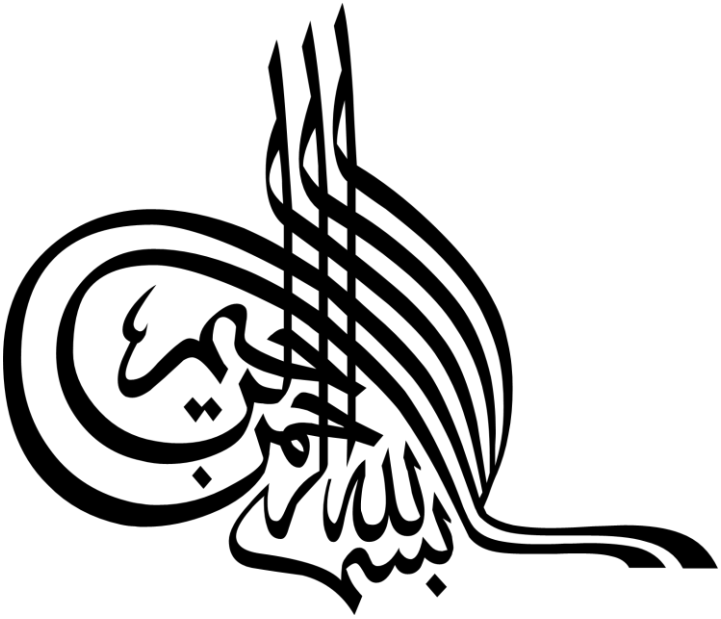
بسم الله الرحمن الرحيم

إلى كلّ مَن أسهم في إخراج هذا العمل، وظهوره بصورةٍ تليق بالقارئ المحترم

على رأسهم الكاتب المهندس: سالم عبد المعز (عمرو سواح) الأفضل في مجال التدقيق والمراجعة اللغوية والإخراج الفني.

وإلى دار نشر (زحمة كتاب) وكل العاملين بها، على مجهودهم الطيب والتي تعطي كل الاهتمام والتقدير لمؤلفيها.

إلى هؤلاء الذين رأوا الحزن في أعيننا ومروا كالغرباء.

الذين استأمناهم على قلوبنا فتركوها حطامًا.

إلى كل نفس ضحكت لنا وفي باطنها أذى لا ينقضي.

الذين حينما تعثرتُ، فسقطت، فتألمت ثم بكيت، فلم أجد منهم مَن يمسح دمعي، ولم أجد من أتكئ عليه، فنهضت وتعلمت وأيقنت أن تكراري لجملة: "أحدهم الأقرب إلى قلبي" ما هي إلا جملة مبنية على الوهم.

إلى هؤلاء:

لقد تجاوزتكم جميعًا مع ابتسامةٍ عريضة

سأراكم من بعدي في أسوأ صوركم، وسترونني من بعدكم في أبهى صوري.

الكثير من القُراء يتجاهلون صفحة المقدمة ويقومون بقراءة أول جزء في الرواية حتى ينتهوا منها سريعًا، أتمنى ألا يكون هؤلاء مِن ضمن مَن سيقتني روايتي تلك، وبما أنك تقرأ كلماتي ومقدمة روايتي فبالتأكيد لستَ من هذا النوع أيها القارئ المتيم بالكتب، حتمًا أنت مغرم بالتفاصيل، وتهتم بكتابك وتعطيه حقه في القراءة والتركيز، لذلك دعني أُعرب عن شكري وتقديري واحترامي لك، وبما أنك وضعتَ ثقتك فيّ واقتنيتَ روايتي، فأعدك أنك لن تشعر بالندم في أثناء قراءتها وبعد الانتهاء منها . .

يجب أولًا أن تكون على يقينٍ أن هناك مخلوقات أخرى تشاركنا الحياة. . قد لا نراها . . قد تظهر للبعض أحيانًا . . قد تعيش في منازلَ وأماكنَ مهجورة. . أو أن يكون موطنها الأصلي في (**الربـــع الخالـــي**)

تلك الرواية تحوي بين صفحاتها أساطيرَ ومعلوماتٍ. . قليلون من يعرفها ومرت عليهم من قبل. . . هيا نسافر معًا ونفتح صناديق الأسرار ونحل ألغازاً متعددة مع أبطال الرواية. . . لكل صندوقٍ مفتاح ولكل صندوق سر وحكاية. . فاتبع سطوري واستمتع في صمت.

سارة خميس

*****

الهرب

(شهر آب عام ٨٨٨ ميلاديًّا، مدينة صنعاء باليمن)

- الألم شديدٌ لا أقوى على تحمله... ساعديني خالتي، أرجوكِ، أشعر وكأن الموت يحاوطني..

- تحملي عزيزتي فلم يتبقَّ إلا القليل.. فقط ادفعي برفق.. أوشك الجنين على الخروج.

بعد لحظاتٍ من الألم والصراخ خرجت الدّايةُ مهللة:

- مبارك سيدي.. إنها فتاة سمراء جميلة.. جئتُ أبشرك وسأدخل فورًا لأطمئنَ على زوجتك؛ ما زالت تتألم وتصرخ.

صاح الرجل:

- شاهيــن.. صديقي العزيز.. أصبحتُ أبًا لفتاة.. الحمد لله.

- مبارك صديقي طاهر.. أصبحتَ أنت أبًا، وأصبحتُ عمًّا لابنتك الجميلة، ما الاسم الذي اخترته لها؟!

قاطعهما صوت المرأة وهي تصيح:

-سيدي.. تعالَ إلى هنا في الحال.. أسرع رجاءً.

دخل طاهر غرفة زوجته ووقف مذهولًا مما رأى عندما حمل طفلته بين يديه.

نظرت إليه المرأة قائلة: سيدتي غابت عن الوعي من شدة الألم.. لكنّ هناك شيئًا آخر.. انظر.....

***

(أوائل القرن العاشر- شهر تموز)

ما هذا الشعور؟!

رأسي يؤلمني بشدة.

منهكة وقد خارت قواي تمامًا.

فمي وكأن كل جزء منه التصق بالآخر من الظمأ.

يا ألله ماذا فعلت بنفسي الآن؟!

أردت فقط الهروب، نعم الهروب من ذلك الظالم شاهين؛ وضع تحت قدمي كل شيء قد تشتهيه أي فتاة؛ فقط لأبقى بجواره مدى الحياة، لكنّ الموت أهون عليَّ من أن يقترب بأنفاسه الكريهة مني أو يتحسس جزءًا من جسدي.

يا إلهي كانت بين يدي الكنوز كلها، والآن لا أريد سوى شربة ماء في تلك الصحراء الجرداء.

تكاد أشعة الشمس الحارة في تلك الصحراء الواسعة تلتهم بشرة تلك الفتاة السمراء الجميلة (بتــول)، تلك العيون البنية التي يزينها الكحل، تلك الخدود المزينة بشامة سوداء بارزة، وذاك الشعر المتدلي حتى خصرها يتلوى مثل جدائل الماء من فعل الرياح حولها. ستأكلهم الشمس حتمًا كالنيران التي تلتهم خيوط الحرير، والثوب الغجري المزين بالحليّ والألوان التي تخطف العيون سيتلاشى ويكسوه رمل الصحراء الأصفر.

فرتْ الجميلة بتول من صديق والدها شاهين الذي حول حياتها إلى جحيمٍ بعد وفاة والديها فقد تركاها وهي صغيرة في سن العاشرة إثر حادثٍ أليمٍ عندما اقتحمتْ مجموعةٌ من اللصوص منزلهم الكبير وعندما تصدى لهم والدها ذبحوه أمام أعين زوجته، ولما بدأت في الصراخ ذبحوها هي الأخرى لتستيقظ الصغيرة صباحًا وحيدةً في منزلٍ غارقٍ بدماء والديها ولم يكن لديها غيرهما في تلك الحياة؛ فلم يكن لها أهل ولا أقارب ليعطف أحدهم عليها ويتكفل بها، لم يكن هناك سوى صديق والدها شاهين فأخذها لتعيش معه بقصره الكبير، رفضتْ زوجته مجيئها بشدة ولكنّ "شاهين" أصر على وجودها وأقنعها بأن تكون من ضمن خدم القصر بعد أن يستولي على ميراثها كله.

أصبحت بتول مجرد خادمة في القصر، تغفو على بلاطه العاري وتأكل بقايا الطعام وتراقب يوميًّا شجار شاهين مع زوجته سهر عن النساء اللائي يقيم علاقات معهن وعن استمراره في شرب الخمر حتى إنه لا يفيق منه.

تعودت بتول على تلك الحياة الصعبة وكبرت يومًا بعد يوم، لتصبح فتاةً سمراء ممشوقة القوام تسحر عيون من ينظر إليها، يزين ذقنها ذاك الوشم الغريب الذي لم تجد له تفسيرًا ولم يخبرها والداها أبدًا عنه، كان عبارة عن شمس انقصمت نصفين برمح مزين.

شاهين يراقب دائمًا تلك الفتاة الجميلة، وتحركت مشاعره تجاهها على الرغم من أنه بمثابة والدها فلم يستطع التحكم في غرائزه الشهوانية، وأرادها لنفسه فقط.

لاحظتْ بتول نظراته الغريبة إليها، كما لاحظت ذلك زوجته سهر وأخذت تفكر في طريقة ما لإبعادها عن أنظاره ولكنها لم تفلح في ذلك.

بدأ شاهين في التعبير عن حبه وتعلقه الشديدين لتلك الفتاة عن طريق التمادي في مغازلتها وتعقبها.

وذات يومٍ فاض به الأمر مما دعاه للتحدث إلى بتول وطلب التقرب منها، اندهشت بتول وتملكها الخوف منه ورفضت بشدة عرضه بالزواج منها وجعلها صاحبة القصر وكل ما تشتهيه سيكون بين يديها.

نهرته وعاتبته على مثل هذا العرض؛ فهو صديق والدها، لكن شاهين أصر على ما يريد، وأقسم أن بتول لن تكون لغيره فحاول الاعتداء عليها في أثناء ترتيب غرفته؛ وأخذت بتول تصرخ وتستغيث وهو يردد: (أحبك بتول وستصبحين ملكي حتى لو أبيتِ ذلك)

اقتحمت سهر الغرفة عندما سمعت صوت بتول وشاهدت "شاهين" وهو يمسك بها بين يديه محاولًا تقبيلها. فصرختْ فيه ليتركها وعنفته بشدة.

يئست سهر من تغيير طباع زوجها الهمجي ولا تقوى على البعد عنه؛ فلا ملجأ لها سواه، وقد اعتادت على تلك المعيشة المرفهة، ولكن كل ما تحاول فعله هو إبعاد أي أنثى عن طريقه حتى لا يجد سواها أمام عينيه، لكن تلك المرة اختلف الأمر فقد شغفته بتول حبًّا وأصبح لا يريد سواها، مما جعل سهر تفكر في طريقة ما

للتخلص من بتول، فذهبت إليها لتنصحها بالهروب فلن يستسلم شاهين حتى يحصل عليها بل إنه رتب مراسم الزفاف ليجبرها على الزواج منه.

بكت بتول بشدة ولا تدري ماذا تفعل أو إلى أين تذهب فلم يكن لها مأوى غيرهما ولكن سهر شجعتها على أن تهرب في تلك الليلة ومعها نقودٌ كافية لتشتري منزلًا خاصًّا بها في مكانٍ آخرَ بعيدٍ، وأعطتها مع النقود بعضًا من الحُلي الثمينة خاصتها.

في البداية ترددت بتول وكانت تخشى الهروب ولكن لا مفر من ذلك؛ فهو أهون من العيش مع ذاك الرجل الغضيب (شاهيـن).

وفي ليلة الزفاف استطاعتْ سهر -في أثناء انشغال الجميع بالاحتفال- إخراجها من القصر من بابٍ خلفيٍّ وأمرتها بركوب فرسهم المفضل (رمـح) والركض بعيدًا قدر المستطاع.

حملتْ بتول الحُليّ والنقود، وشكرتْ سهر على مساعدتها وبدأت رحلة الهروب، ظلت تعدو بفرسها لمسافات بعيدة لا تدري إلى أين تذهب ولكنها تُسرع في الابتعاد قدر الإمكان حتى لا يُدركها شاهين حينما يعلم بأمر اختفائها عن القصر.

كانت الشوارع معتمة ليلًا، وبعد ساعات وجدت بتول نفسها في مكانٍ واسعٍ لا تسمع فيه سوى صوت الرياح وعويل الذئاب.

ارتعدتْ بتول وخفق قلبها ولا ترى أمامها أيّ شيء، أخذت تُربت بيديها على ظهر الفرس حتى يستمر في الركض. وبعد عدة خطوات جن جنون الفرس وأبى أن يتقدم للأمام خطوة أخرى، بدأ

يرفص مع صهيل عالٍ دوى في المكان.

- ما بك يا رمح، اهدأ أرجوك وتقدم، هيا رمح تقدم.

رفص (رمح) حتى ألقى ببتول على الأرض، ارتطمت بشدة وغابت عن الوعي حتى الصباح، وفر (رمح) حتى غاب عن الأنظار. وعندما استعادت وعيها وجدت نفسها في تلك الصحراء الواسعة.

عندما اكتشف شاهين هروب بتول جن جنونه وأخذ يصرخ في كل الحرس ليبحثوا عنها ويُحضروها له في الحال، لم تُظهر سهر له أي شيء فإن علم بأنها ساعدتها على الهروب سيقتلها دون أي تفكير.

*****

النظرة الأولى

نظراتٌ حادة تترقب كل جزء يمر به ذاك الفارس الوسيم.

شعره الأسود يتدلى أسفل العمامة التي يضعها على رأسه ليتلاشى حرارة الشمس.

قطرات العرق تتساقط من على وجهه كتساقط الأمطار على ورقات الشجر.

عيون واسعة مترقبة كعيون الصقر الذي ينتظر ظهور فريسته لينقض عليها بخنجره.

(ظـافـر) شابٌّ مفتول العضلات، يرتدي زي البدو الفضفاض ويمسك بيده عصا سميكة ملتوية إلى حدٍّ ما.

وقف ظافر للحظات ليلتقط أنفاسه وأسقط من خلف ظهره لفافةً يحملها أخرج منها قربة الماء، وارتشف قدرًا صغيرًا ليُبلل فمه، فكانت حرارة الشمس لا تُطاق ويأمل أن تصمد باقي المياه معه حتى يُكمل ما أتى من أجله.

ظل يسير ويسير وكأنه يستمتع بالسير في تلك الصحراء حتى إنه بدأ يدندن ويطلق صفيرًا ولا يُبالي بحرارة الشمس أو مِن السير وحيدًا في هذا المكان.

توقف (ظافر) فجأةً حينما لمح من بعيدٍ شيئًا ما ملونًا ملقى على الأرض.

أسرع إليه ليتحقق منه، فوجد جسد فتاة مغطى بالرمال، وشعرها يتطاير على وجهها ليخفي ملامحه.

جلس (ظافر) على ركبتيه وأمسك بحذرٍ خصلات شعر الفتاة ليبعدها عن وجهها.

لمعت عيناه عندما رأى جمالها العربي الطاغي وبعد شروده بدقائقَ معدودةٍ سحب قارورة الماء، ووضع بعض القطرات على وجه الفتاة وعلى فمها الوردي.

ما إن شعرت بتول بقطرات الماء على فمها حتى بدأت تستعيد وعيها وأمسكتْ بقوةٍ يد ظافر لتلقف منه قارورة الماء وتسكبها بقوة داخل فمها.

غضب ظافر وصاح بها:

- صبرًا يا فتاة لا تشربي الماء كله؛ فليس لدي الكثير ليكفيني، هيا دعيها فقد شربتِ مقدار ما يروي ظمأكِ.

انتبهت بتول ونظرت إليه في دهشة قائلة:

- من أنت؟ ومن أين أتيت؟!

نظر إليها ظافر بحدة وبعد صمته بلحظات قال:

- أتيتُ من حيث أتيتِ يا جميلة الصحراء.

انتفضت بتول من موضعها محاولة الوقوف وسرعان ما سقطت مرة أخرى.

- رأسي.....

- ما بكِ؟ هل تأذيتِ.

- لقد ارتطمتُ بشدةٍ على الأرض عندما أسقطني ذاك الغبي (رمح).

- من هو رمح؟ صديقك؟!

- هاهاهاها، بل الفرس الغبي الذي كنت أمتطيه.

- نعم فهمت ومتوقع منه أن يُسقطك هكذا.

نظرت إليه بتول بعمقٍ ودهشة بعد تلك الجملة قائلة:

- ولماذا مُتوقع منه إسقاطي؟!

- لأن أي حيوان، أو أي مخلوق بمعنى أدق لديه ولو قليل من الذكاء لا يمر من هنا أبدًا.

- ماذا تقول؟

- مثلما سمعتِ، هل تعلمين أين أنتِ الآن يا جميلة؟

- لا، وكيف لي أن أعلم؟؟ لقد ركضتُ مبتعدة قدر المستطاع، وكان الظلام دامسًا، وذاك الغبي رمح أخذ يجري ويجري حتى توقف هنا، أين أنا؟

اقترب ظافر من وجهها وهمس في أذنها:

- أنتِ في الربـع الخـالـي عزيزتي.

تسمرت بتول قليلًا وفتحت فمها عن آخره ثم قالت وهي ترتجف: "أهذا الذي يروون عنه الأساطير الخرافية ما بين سحر وشياطين ووحوش وغيرهم من الأهوال؟".

- نعم، هو كذلك أيتها البلهاء.

صاحت بتول بغضب:

- لا تقل بلهاء، وإذا كنت كذلك فأنت مثلي تمامًا؛ على الأقل أنا لا أعلم أين أنا، وأنت أتيت إلى هنا وأنت على علمٍ بهذا المكان.

- حسنًا أصبتِ يا سمراء ولكن لديَّ أسبابي.

- وما هي أيها الذكي؟!

ارتبك ظافر ثم قال:

- قولي لي أولًا لماذا أتيتِ أنتِ إلى هنا؟!

- كنت أفر من السجن.

- ماذا؟!

- نعم كما سمعت، كنت سجينة شاهين طوال عمري.

اتسعت عين ظافر حين ذكرت اسم شاهين:

- تقصدين "شاهين" أكبر تجار الذهب هنا؟!

- نعم، يا إلهي أنت تعرفه، بالتأكيد سترشده عن مكاني.

نهضت بتول ودفعت "ظافر" بعيدًا عنها فسقط على الأرض ثم ركضتْ مبتعدة عنه فسقط منها الكيس الذي يحوي المال والحليّ.

التقطه ظافر بسرعة وفتحه فتوقفت بتول وهي تلهث من التوتر والتعب.

ابتسم ظافر ممسكًا بيده المال والذهب قائلًا بسخرية:

- الآن فهمتُ أيتها اللصة، سوف أسلمكِ للحاكم لتأخذي عقابك وأُعيد لشاهين ما سُرق منه.

سقطت الدموع على وجه بتول وتوسلت إليه:

- أرجوك لا تفعل، أنا لم أسرق أي شيء، لقد أعطتها لي السيدة سهر زوجته وهي من ساعدني على الفرار منه بعد ما قرر الزواج بي رغمًا عن إرادتي.

- هل حدث ذلك فعلًا؟!

- أقسم بالله هذا ما حدث.

- لا أصدق كلامك أيتها اللصة الجميلة فلتأتي معي.

- أنت لا تصدقني بعد أن أقسمت لك، حسنًا لتأخذ النقود والذهب ولتذهب بها إلى الجحيم.

- هاهاها أنا في الجحيم من الأساس.

تغيرت نظرات ظافر فجأة وأصبحت مرعبة وحادة بصورة ملفتة، رمى النقود والذهب من يده ثم أسرع تجاه بتول.

- تعالَي هنا يا لصة، لن تستطيعي الهروب في هذا المكان.

ركضت بتول وظل هو يركض خلفها ثم خارت قواها من العطش والجوع والخوف فتوقفت فجأة وهي تبكي، فأمسك بها ظافر من الخلف وجذبها بشدة من يديها.

رفعت بتول وجهها لتنظر إليه وبعينيها الساحرتين جعلته يتسمر في مكانه.

- أرجوك لا تفعل هذا، كفاني من الظلم ما تذوقت، فلن يرحمني شاهين إذا عثر عليَّ، أرجوك يا.... ما اسمك؟

همس ظافر وهو يقترب منها، شاردًا في سحر عينيها.

- ظافر، أنا ظافر.

- حسنًا ظافر أرجوك ساعدني للخروج من تلك الصحراء والذهاب بعيدًا عن أي مكان يستطيع شاهين الوصول إليه.

- سوف أحاول أن أصدق ما ذكرتِه عن محاولة هروبك من شاهين وسوف أحاول مساعدتكِ ولكنكِ ابتعدتِ كثيرًا عن الطريق الرئيسي وإذا عُدتِ من هذا الاتجاه ستجدي نفسك في المكان نفسه الذي أتيتِ منه، لكن.....

- لكن ماذا؟!

- لكن إذا سلكنا الاتجاه المُعاكس سوف نذهب لمكانٍ آخر بعيدٍ لن يصل شاهين إليكِ فيه ولا حتى سيفكر بوجودكِ هناك.

- وهذا ما أريده تمامًا، أرجوك دعنا نرحل إلى هناك.

- تريثي أيتها البلهاء، ليس بتلك السهولة، الطريق محفوف بالمخاطر وتكسوه الأساطير المخيفة؛ فهو بؤرة الأحداث جميعها.

- أتقصد.....

- نعم منتصف الربع الخالي، حيث لقى الكثيرون حتفهم هناك وكثرت الأقاويل حول طريقة موتهم؛ فمنهم من قال إنهم قُتلوا على يد لصوص كانوا يبحثون عن الذهب، ومنهم من قال إن الكُثبان الرملية التهمتهم، ومنهم من قال..... إنهم قد تم تمزيقهم من وحوش لم نرَها من قبل، وأخيرًا قيل إنهم اختفوا في (إرم) المكان الأجمل في العالم الذي لم يتم العثور عليه من قِبل كل علماء التاريخ (موطن قوم عاد) وقيل إنه يستوطنه الجن وهم من يقومون بخطف كل ما هو حي يمر من هناك.

ساد الصمت قليلًا ثم نظر ظافر بدهشة إلى بتول قائلًا:

- لمَ لا أراكِ ترتجفين مما ذكرته، أنتِ على بعد خطوات من الهلاك، ألا تخشين ذلك؟!

ضحكت بتول بصوتٍ عالٍ وقالت بسخرية:

- لا يا ظافر أنا لا أخشى كل هذا، وعلى علمٍ بكل ما قيل عن تلك الأماكن، لكن لا أخشى شيئًا ولا حتى الموت نفسه.. فلن يحدث لي أكثر مما حدث.

قالتها وهي تنظر إلى عينيه بحدة مما أثار دهشة وخوف ظافر وحتى يخفي ارتيابه قال في تلعثم:

- هيا، الطريق طويل وعلينا السير مسرعين ولكن سأقوم بتوصيلك لبداية الطريق فقط وستكملين بمفردك، فأنا عكسك أخشى الموت.....

قاطعته بتول مبتسمة:

- وتخشى الجن والوحوش أيضًا؟!

وقف ظافر ونظر إليها وضيق من نظراته قائلًا:

- بتُّ أخشاكِ أنتِ أيتها الساحرة.

سارت أمامه بخفة ودلال قائلة:

- هناك أربعة أنواع من الخوف، أولها: الخوف من الله، وثانيها: أن تخشى الوقوع في حب أحدهم، أما ثالثها: أن تخاف من شدة الرعب، ورابعها: الخوف من الفقد أو الفراق، لكن صدقني خوفك من الله نجاة أما البقية فكلهم يؤدون إلى هلاكك لا محال هاهاهاها، فعليك توخي الحذر قبل أن تقع في حب بتول.

- اسمك بتول؟

- نعم نسيت أن أخبرك من قبل، أعشق هذا الاسم وخصوصًا أن أبي الغالي هو من اختاره لي (بتول طاهر عبدول).....

- لقب العائلة عبدول؟؟

- نعم، بلا فخر.

صمت ظافر وهو يُكمل سيره ولم ينبس ببنت شفة، كان فقط ينظر أمامه شاردًا في شيء ما يدور بذهنه.

لاحظت بتول صمت ظافر غير الطبيعي فقاطعت تفكيره:

- هل تتلاشى النظر إليّ، اعترف ولا تخجل.

- ولمَ أفعل ذلك؟

- هل تعلم أن اللقاء ليس إلا بداية فراق فافرح بلقاء أحدهم قدر ما استطعت.

- بل أعلم الآن أن لقاءك هو بداية هلاكي أنا.

- تقول ذلك بسبب المكان الذي ننوي الذهاب إليه؟

- بل تنوي وحدكِ، صححي جملتكِ فهناك فرقٌ كبير.

- لماذا تخاف هكذا على الرغم من أنك تجوب الصحراء وتعلم كل جزءٍ بها وعلى علم أيضًا بالأساطير التي تُقال عنها ومع ذلك تسير فيها وحيدًا، ظافر... ماذا كنت تفعل قبل أن تجدني ملقاة على الأرض وليس لديك أي شيء سوى تلك اللفافة الغريبة، تُرى ما بداخلها؟ أعطني إياها لأرى بنفسي.

صرخ ظافر:

- اتركي أشيائي وإلا تركتك وحيدة، ليس لكِ شأنٌ بما أفعله أو أنوي فعله، ما نحن إلا غريبان التقيا بنفس الطريق، لتسيري في صمت الآن.

بالفعل سكتت بتول وامتلأت عيناها بالدموع.

شعر ظافر بطريقته الفظة معها فوقف قليلًا قائلًا لها:

- حسنًا أعتذر بتول عما صدر مني ولكن اعذريني فجأة شعرت أني مرتبك وفي طريقي للتورط في شيء ما أكبر من شجاعتي.

- لا بأس يا ظافر، أنا من يجب عليه الاعتذار وأيضًا يجب عليَّ أن أشكرك على مساعدتك لي فقد كدت أموت لولا أن عثرت عليَّ.

- حسنًا لا تصمتي واحكي كيف وقعتِ في يد شاهين.

حكت بتول قصتها من وقت فراق والديها حتى سقوطها في الصحراء وعلم ظافر بكمّ معانتها منذ صغرها (فكيف لهذا الجمال أن يبكي وحيدًا؟ وكيف لهذا القلب لا ينبض إلا ألمًا)

*****

الظــن

(والظن هو مظنة جانب الشر وتغليبه على جانب الخير، فسوء الظن هو عدم الثقة بمن هم أهل لها)

ظل ظافر يفكر بينه وبين نفسه:

"هل كل ما يحدث مجرد صدفة؟

هل من الممكن أن تكون بتول هي تلك الفتاة التي كنت أنوي البحث عنها وقتلها؟

ولكن كان وصفهم لي مختلفًا عنها قليلًا، فلم يذكروا أنها بكل هذا الجمال، أيضًا لم يذكروا أن لديها تلك الشامة على ذقنها!

لماذا وضعك القدر أمامي يا بتول؟!

لأقتلك سريعًا دون جهد؟

أم لتثيري شكوكي وتقلبي حياتي رأسًا على عقب؟

أم لأنكِ قدري؟!".

أنهك التفكير "ظافر"، وبعد الكثير من الوقت أمر بتول بالتوقف ليأخذا قسطًا من الراحة قليلًا.

اقترب غروب الشمس، وجلست بتول على الرمال ممسكة ببطنها:

- يا ألله، أمعائي تكاد تعتصر من شدة الجوع، لديك أي طعام يا ظافر؟

- للأسف لا، وأوشك الماء أيضًا على الانتهاء.

- ماذا سنفعل وسيطول بنا السير هكذا، سنموت من الجوع والعطش قبل أن نصل.
- بتول، أنا منهك الآن دعينا نغفو ولو ساعة حتى أستطيع السير مرة أخرى.
- أتضور جوعًا يا ظافر وتحدثني عن النوم!
- ومن أين آتيكِ بالطعام يا عزيزتي، نامي قليلًا لتنسي جوعك.

وضع ظافر لفافته تحت رأسه وأغمض عينيه، في حين جلست بتول بجواره وهي تتمتم بكلمات من شدة غضبها وجوعها.

حل الظلام بعد غروب الشمس وكان ظافر يغط في سباتٍ عميقٍ، راوده حلمٌ غريبٌ عن مجموعةٍ من الرجال يرتدون عباءاتٍ واسعةً سوداءَ تغطي رؤوسهم، يمسكون بفتاةٍ جميلةٍ تشبه بتول، وأحدهم يمسك بسكينٍ حادٍّ ولامعٍ وكأنه ينوي الخلاص منها، كانت الفتاة تصرخ مستنجدةً به وحولهم ضباب كثيف يحجب الرؤية عنه نوعًا ما، لكن الغريب أن "ظافر" لم يتحرك من مكانه وكان يشاهد ما يفعله هؤلاء الرجال ليس إلا.

بعد قليلٍ من الوقت شعر ظافر بصوت أقدامٍ خفيف على الرمال، فتح عينيه ليستكشف من هو، دون أن يلفت النظر أنه قد استيقظ.

وجد بتول تقف أمامه تهرول هنا وهنا، تعجب ظافر مما تفعله ثم رآها فجأة تنقض على شيءٍ ما على الأرض، لقد أمسكتْ بحيوان زاحف من ذيله (وَرَل) وقامت بمصارعته وقتله بشيء ما في يدها.

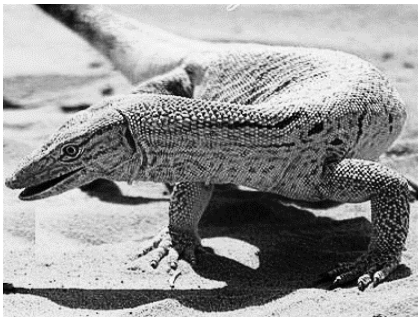

- **(الوَرَلُ)**

حيوان زاحف من ذوات الدم البارد يسمى الغيث ويشبه الضب ولكنه أشد خطورة منه، يبلغ طوله من متر إلى ثلاثة أمتار، من فصيلة السحالي، يتغذى على العديد من الحيوانات الصغيرة والثعابين والعقارب فلديه أنياب حادة، لسانه ملوث تلويثًا كليًا بالبكتيريا الشديدة فعندما يقوم بعض فريسته تنتقل هذه البكتيريا إلى الجروح وتؤدي إلى التهاب شديد فتموت الفريسة مهما كان حجمها وقوتها.

لم يتحرك ظافر من مكانه ليرى ماذا ستفعل بعدها، وتعجب من قوتها التي جعلتها تنقض على (الوَرَلُ).

قامت بسلخه وتقطيع شرائح من اللحم منه ومضغه بسرعة من شدة الجوع.

شعر ظافر بالاشمئزاز وباتت الحقيقة تظهر أمامه

(إنها هي)

وقف ظافر وأخرج من لفافته زجاجةً صغيرةً بها سائل ما، ثم فتح الزجاجة ورشها فجأةً على وجه بتول وباغتها بضربةٍ قويةٍ على رأسها.

- ماذا فعلت يا ظافر؟

ثم غابت بتول عن الوعي تمامًا.

أخرج ظافر من اللفافة التي يحملها كتابًا صغيرًا قديمًا، أوراقه صفراء، وكان ممزقًا إلى حدٍّ ما، ثم أخرج زجاجة أخرى بها سائل لونه أحمر غريب الشكل وكان به فقاقيع وكأنه يغلي داخل الزجاجة.

فتح ظافر الكتاب وقبل أن يبدأ القراءة نظر إلى بتول وهي ملقاة على الأرض أمامه قائلا: "سامحيني يا بتول، فما أتيتُ إلى هنا إلا لأبحث عنكِ وأقتلكِ حسب مهمتي التي أقسمت على تنفيذها وذلك لمصلحة البشرية كلها، مظهرك لا يوحي بأي شيء قيل عنكِ، جمالك هادئ وخفيفة وتلقائية كالملائكة، ولكن يستطيع الشيطان ارتداء عدة أقنعة حتى تحين لحظة هجومه، سامحيني فما عليّ سوى قراءة الطلاسم الآن وسكب هذا السائل على جسدك الجميل لتختفي إلى الأبد، ساعدني يا ألله..... بسم الله.....".

وفجأة وعلى ضوء القمر يظهر ظل كيان ما يأتي من خلف ظافر، كان يبدو ضخمًا، فانتبه ظافر لذلك الظل ونظر خلفه برعبٍ، ولكن لم يجد أحدًا.

ظن أنه يتخيل هذا، فأغمض عينيه مرة أخرى وبدأ في قراءة الطلاسم، هبت ريح باردة فجأة، ولكن "ظافر" لم يتوقف وكأنه يعلم أن هذا شيء طبيعي سيحدث عند تلاوة تلك الكلمات، وبعد أن انتهى فتح عينيه حتى يسكب السائل على جسد بتول، ثم صرخ:

- أين أنتِ؟!

كيف اختفيتِ فجأة؟!

بتووووول.....

هرول ظافر هنا وهناك باحثًا عنها على ضوء القمر والمصباح الذي يحمله بيده لكن دون جدوى وكأن الأرض ابتلعتها.

ظن ظافر أنها هربت منه بفعل سحرها وجلس يبكي فلا يدري ماذا يفعل بعد أن رحلت من بين يديه وماذا سيقول لأتباعه حين يعود.

*****

كهنة الكهف الأبيض

عاد ظافر منهك القوى بعد سيره لمدة يومين في تلك الصحراء دون طعام أو شراب إلى كهفٍ غريبٍ يقع في طرف الصحراء الشرقية في اليمن، وما إن وصل إلى هناك حتى ارتطم بجسده على الأرض أمام فتحة الكهف.

وبعد مرور عدة ساعات أفاق ظافر من وعيه وكان ممددًا على فراشٍ كبيرٍ صخري ويلتف حوله الكثير من الرجال متفاوتي الأعمار يرتدون زي الكهنة ويمسكون بين أيديهم كتيبات وزجاجات من بعض الأدوية والماء.

كانوا ينظرون إليه بغضبٍ ثم اقترب منه أحدهم وقال بصوت حاد:

- لقد أخفقتَ يا ظافر في أداء مهمتك، بعد أن راهنتُ عليك كل تلك الأعوام وكنت أربيك وأجهزك حتى يحين الموعد المحتوم.

ابتلع ظافر ريقه وارتبك بشدة وتلعثم قائلًا:

- لم يكن خطئي أنا..... لا أدري أين.....

قاطعه الكاهن "بسطام" بحدة:

- لتصمت..... أعلم كل ما حدث، لقد أرسلت أحد الخدم ليتعقبك وعاد إليّ بتلك الأخبار المحبطة.

- إذن فأنت على يقينٍ الآن أنه ليس خطئي، فأين اختفتْ؟

لكن هناك سؤال يجوب بخاطري ولستُ على يقين منه.

- قل ما هو يا ظافر!

- هل هي الفتاة المستهدفة؟! بتول هي حفيدة الساحر "عبدول الحظرد" بالفعل؟!

ضيق الكاهن بسطام عينيه واقترب منه وقال بهدوء:

- النبوءة أشارت إلينا بوجودها في تلك الأيام في الصحراء وحيدة وبالفعل أرسلناك إلى هناك في الوقت المحدد، وبالفعل أيضًا وجدتها، تُرى.. هل لديك أدنى شك بعد كل ذلك أنها ليست النبتة الشريرة؟!

- لا يا سيدي لا أشكك في النبوءة، ظننت لوهلة أنها ليست هي، كانت جميلة ومسالمة كالملاك، وقصتها تحوي الكثير من الألم والظلم، فإن كانت بالفعل حفيدة عبدول فلماذا لم تستخدم قواها من قبل؟!

غضب الكاهن قائلًا:

- هذا أمر بديهي؛ فإنها لم تكتشف قواها بعد.... كنت أظن أننا سنقضي عليها قبل أن يجدها هو.

- هو من؟!

مكرب، حتما سيحصل عليها الآن.. أو هو من اختطفها بالفعل من بين يديك...

- (مكـــــرب)

جمعها مكارب أو مكاريب، هو أحد الأسماء اليمنية القديمة التي كانت تطلق على بعض الملوك في عهد ملكة سبأ، ومعناه هو كل إنسان أو حيوان وثيق المفاصل، شديد القوى، صلب، متسيد، وصاحب هذا الاسم طاعته واجبة نظرًا لشدة بطشه.

اندهش ظافر وقال في هدوء وثقة:

- "لا.. لا أظن أنه وجدها.. لم أرَ أيّ أثر لأي شخصٍ هناك و....

انتظر بالفعل رأيت شيئًا ما.. كان هناك ظلٌّ ضخمٌ أتى من خلفي وقتها، كنت أظن أنني أتخيل هذا... يا ألله ليتني انتبهت له.

- وماذا كنت ستفعل حينها، لا تستطيع أنت وجيشٌ من أمثالك مقاومة مكرب، كيف عرف بوجودها معك في تلك اللحظة بالذات، كيف؟!

- سيدي لماذا لم تذكر لي من قبل علامةً محددةً قد أجدها بتلك الفتاة؟!

- علامة؟ ماذا تقصد؟!

- أقصد أن بتول بها علامة مميزة على وجهها، وكان المفترض أن تنبهني إليها حتى تيسر الأمر عليَّ، تلك الشامة على ذقنها كانت واضحة وغريبة.

زادت دهشة الكاهن بسطام ولمعت عيناه قائلا بلهفة:

- ما هي يا ظافر؟ اوصف الشامة بدقة.

- حسنًا، هي تكاد تكون قرص شمس لونه أحمر، ولكنه انقسم نصفين بفعل رمح أسود طويل وكان....

- انتظر يا ظافر لا تكمل وصفك، وتعالَ خلفي بسرعة...

اندهش بقية الكهنة ونهض ظافر مسرعًا خلف كبيرهم بسطام الذي دخل حجرة صخرية بالكهف الأبيض ممتلئة بالشموع الضخمة المتقدة ورفوف متكدسة بالكتب التي يغطيها الرمل الأصفر.

وقف الكاهن على كرسي خشبي قديم ثم جذب كتابًا كبيرًا لونه بني وأخذ ينظفه من الأتربة المتراكمة عليه وكأنه وُضع هناك على تلك الأرفف منذ عدة أعوام، وضعه أمام ظافر على منضدة عالية بجوار إحدى الشموع الضخمة وبدأ ظافر في قراءة الاسم:

- (الوشم الأحمر)! ما هذا يا سيدي؟ يبدو أنه عتيقٌ جدًّا واسمه لم يمر عليّ من قبل.

جلس الكاهن على كرسي حول المنضدة وأمر "ظافر" بالجلوس بجواره، وطلب منه الإنصات بشدةٍ وتركيز.

- كلي آذان مصغية يا سيدي.. تفضل.

- عبد الله الحظرد، كان بمثابة شيطان يسير على الأرض ويمتد شره وعلمه لكل نسله، ولكن من بحثنا ومتابعتنا لكل من حوله من أجداد الأجداد وجدنا أنه لم يكن له أي أقارب على وجه الحياة إلا إننا فوجئنا في وقتٍ ما أنه تزوج قبل اختفائه بشهرين من فتاةٍ كان يعلمها فنون السحر الأسود التي كان يتقنها، وأسرارًا لم يستطع

الوصول إليها غيره، ولكن شاء القدر أن لا يتم ذلك وثار عليه أحد ملوك الجان المعروف ببطشه وقوته عندما علم بأنه قرر توريث أسرارهم لشخصٍ غيره وسلط عليه وقتها أحد الوحوش فقام بابتلاعه، توهمت الناس أنه مات وتخلصت منه البشرية بعد هذا الحادث الغامض الذي شهد عليه البعض، ولكن الحقيقة أنت تعلمها جيدًا يا ظافر.

- نعم أعلمها، فهو ما زال حبيسًا في مكانٍ ما، ينتظر أن يأتي إليه المخلص ليقوم بتجديد العهد مع الشيطان وذلك مقابل إطلاق صراح عبدول أو عبد الله الحظرد.

- بالضبط يا ظافر وهذا ما ينوي فعله مكرب، عليه العثور على هذا المخلص ويجب أن يكون من نسله، ومع البحث وجد أن زوجة عبدول بعد اختفائه عادت إلى مسقط رأس زوجها (صنعاء) وكانت تحمل بين أحشائها نسله الذي من المفترض أنه سيكمل مسيرته، أخفت زوجته الرضيع عن الأنظار حتى لا يقتله أحدهم وعاشت في بيتٍ عتيقٍ بعيدٍ عن الأنظار حتى أنجبته، أسمته "طاهر"، لم يكن به شيءٌ مميزٌ أو يدعو إلى الريبة منه فكان طفلًا طبيعيًّا وعاش حياته بصورة طبيعية بين الناس حتى توفت والدته فماتت معها سيرة عبدول الحظرد، تزوج بعدها ابنها وأنجب فتاةً وحيدةً وقام بعض اللصوص في صغرها باقتحام منزلهم وذبح والديها أمام أعينها فتبناها صديقُه.....

- انتظر؛ أعلم البقية، تبناها شاهين أكبر تجار الذهب في صنعاء.. (بتول) هي المخلص الذي سيجدد العهد مع كبير الجان!

- هذا ما ظننته يا عزيزي، ولكن صدمتني الآن بذكرك هذا الوشم على ذقنها، فهذا الوشم سيعيد كل التفكير في عودة عبدول مرة أخرى.

اندهش ظافر واعتدل في مجلسه لينصت بانتباهٍ للكاهن فيما سيقوله:

- كيف يا سيدي؟! ما علاقة ذاك الوشم ببتول وعودة جدها مرة أخرى وهي نسله الوحيد؟!!

فتح الكاهن الكتاب الذي بين يديه على صفحة في منتصفه وأشار إلى رسمة فيه باللون الأحمر.

فتح ظافر فمه مندهشًا مما رأى، أنه نفس الوشم المرسوم على ذقن بتول.

- انظر يا ظافر واقرأ بدقةٍ ما كتب أسفل تلك النقوش...

قرأها ظافر بهدوء:

(ثم يأتي المخلص، منقذ البشرية برمحٍ أسودَ طويلٍ، ذات وشم أحمر كقرص الشمس على ذقنه ويغرس رمحه في صدر الشيطان ليهوى إلى الجحيم الذي أتى منه إلى الأبد)

وهناك بعض الطلاسم التي سيرددها المخلص عند غرس الرمح في ذاك الشيطان و.....

- انتظر... هذا يعني أن بتول هي.....

- نعم يا بني.. بتول هي مخلص روح عبدول وهي المكلفة

بتجديد العهد مع الجان وهي أيضًا المخلص الذي تحدثت عنه النبوءة وتحمل الوشم المميز على ذقنها..

- لكن كيف لها أن تكون مخلص البشرية من الشيطان وفي الوقت نفسه هي من سيعيده إلى الأرض مرة أخرى.

- هذا ما لا أجد له تفسيرًا الآن، وإن وجدها مكرب بالفعل سيقوم أولا بأمرها وتجهيزها لعودة جدها عبدول ومن ثم إن كان يعلم بأمر الوشم سيقوم بالتخلص منها على الفور.

- ظافر.. هل كانت بتول تحمل رمحًا ما؟؟!

- رمح!!.... لا.. لم يكن معها غير تلك اللفافة أعطتها إياها سهر زوجة شاهين بها بعض النقود والذهب، انظر..

- يا ويلي سهر وزوجة شاهين أيضًا!

- لماذا؟ من تكون سهر؟!... أنت اليوم تفاجئني بأشياء عجيبة يا سيدي..

- لا... لا عليك، سأشرح لك فيما بعد من تكون وما هي علاقتها ببتول ومكرب.

- سيدي لقد ذكرتْ بتول شيئًا عن الرمح، ولكن لم يكن رمحًا معدنيًّا، لقد كان اسم الفرس الذي امتطته وهي تهرب من منزل شاهين.

- امممممم، من الواضح أن الرؤية تتضح لنا في بعض الأمور.

- لا أفهم معنى كلامك!!

- لا عليك، همي كله الآن العثور على بتول وتحريرها من يد مكرب حتى نهيئها للخلاص من عبدول وهي تحتاج إلينا لمساعدتها وخصوصًا أننا نملك هذا الكتاب الثمين..

- معنى كلامك أنك عزفت عن قتلها.

- بالطبع أيها الغبي فهي الوسيلة الوحيدة لنجاتنا جميعًا.

ابتهج ظافر وارتسمت الابتسامة بصورة ملحوظة على وجهه.

ضحك الكاهن قائلًا:

- يبدو أنك معجبٌ بها، كنا سنقع في ورطة لو قتلتها فنحمد الله أن الظروف منعتك وأتمنى أن تكون استطاعتِ الهروب منك وأن "مكرب" لم يعثر عليها حتى الآن، ظافر يجب أن نجدها بأي وسيلة ويجب أيضًا أن نعثر على مخطوط (العزيف) بالتأكيد مكرب يخفيه في مكانٍ ما، فهو وسيلة عودة عبدول من خلال قراءة بتول لبعض الطلاسم الموجودة به والتي خطها جدها بيديه السوداء المغطاة بالدماء الخبيثة.

- لكن سيدي أين سأبحث عنها الآن؟ هل أعود إلى الصحراء مرةً أخرى أم أبدأ من مكانٍ آخر؟!!

- لا، ليس الصحراء، فلتذهب إلى قصر شاهين.

*****

أسطورة عبدول الحظرد

- **(عبد الله الحظرد)**

أو عبدول الحظرد، ولد في مدينة صنعاء اليمنية، عاصر الدولة الأموية، وعاش حياة مترفة مع والدته والتي كان ابنها الوحيد، حيث توفي والده وهو في العاشرة من عمره، أحب وأدمن قراءة وكتابة الشعر حتى أصبح شاعر اليمن الأول، أصيب بعدها بالجنون وهو في عمر الثلاثين، بدأ يفكر بأشياء غريبة غاية في الجنون ومنها قدرته على التنبؤ بالمستقبل وأحداثه من خلال معرفة أحداث الماضي، خافه العديد من الناس وعاش وحيدًا لفترة طويلة من الزمن، سافر عبر صحراء الربع الخالي والتي تعد أكبر صحراء في العالم، مكث فيها عشر سنوات وزعم أنه التقى بمخلوقاتٍ عاشت بالماضي وتمكن من فهم لغتها، استقر بعدها في مدينة دمشق في بلاد الشام وألف كتاب (العزيف) أو كتاب الموتى المثير للجدل والرعب، وكان الكتاب له علاقة بتلك الأصوات في الليل التي تصدرها الحشرات والتي قيل عنها أنها عواء الشياطين، زار عبدول آثار بابل وأسرار منف المدفونة، وزعم أنه شاهد مدينة (إرم الرائعة ذات العماد) وأنه بحث تحت أنقاض مدينة مجهولة في الصحراء فوجد سجلات وأسرارًا مروعة عن عرق أقدم من البشر، ولم يكن الحظرد مسلمًا تقيًا؛ كان يعبد كيانات مجهولة سماها (يق، سثوث، كثولو، .....) وقيل إن أشياء فظيعة حدثت في سنة وفاته أو بمعنى أدق في سنة اختفائه (٧٣٨ ميلادية).

• وقال ابن خلكان (كاتب سير من القرن الثاني عشر) إن وحشًا غير مرئي نال منه في وضح النهار والتهمه أمام عددٍ كبيرٍ من الشهود الذين جمدهم الخوف.

• أطلق العرب على الربع الخالي (الدهناء) وقيل إنها مسكونة بالأرواح الشريرة ووحوش الموت، وقال بعضٌ ممن اخترقوا هذه الصحراء إنها مليئة بأعاجيب غريبة لا تصدق...

• كتاب العزيف (النيكرونوميكون) كان يشبه كتاب (شمس المعارف) تم تداوله خلسة وترجم لليونانية سرًا، من قبل ثيودوروس فيليتاس من القسطنطينية عام ٩٥٠ م، دفع هذا الكتاب الباحثين لقرن من الزمان أن يقوموا بتجارب رهيبة قبل أن يقوم البطريرك ميخائيل بمنع هذا الكتاب وحرقه، بعدها لم يتحدث أحدٌ عن الكتاب إلا خلسة، ولكن في عام ١٢٢٨ قام أولاوس فورميوس بترجمته إلى اللاتينية مرتين، مرة في القرن الخامس عشر بالخط القوطي ومرة في القرن السابع عشر في أسبانيا، وكلتا الطبعتين لا تحتويان على علامات مميزة، تم حظر الطبعات كلها من قبل البابا غريغوريوس التاسع عام ١٢٣٢ وذلك بعد وقتٍ قصيرٍ من إصدار الترجمة اللاتينية، ولكن اللافت للنظر بشأن كل النسخ هو ضياعها ولم يتم العثور عليها حتى وقتنا الحالي.

*****

الصدمة

جن جنون شاهين بعد علمه بنبأ هروب بتول وكان صوته الغاضب يرج أنحاء القصر، أمر جميع الحرس بالبحث عنها في كل شبر بالمدينة بل وبالمدن المجاورة لها فلن تستطيع الذهاب وحدها لمكانٍ أبعد في تلك الأيام القصيرة.

صرخ في وجه سهر بحدة:

- لماذا أشعر أنكِ وراء اختفاء بتول؟!

ارتبكت سهر وحاولت إخفاء ارتباكها بصوتها العالي:

- ولمَ أساعدها على الهروب؟! فأنا معتادة منذ سنوات على علاقاتك النسائية المتعددة، لو كنت كذلك لفعلتها مع كل فتاةٍ تقترب منها.

- لكن بتول كانت دومًا مختلفة يا سهر، أم نسيتِ من تكون هي؟!

- لا... لم ولن أنسى ولكن أنت من نسي أو تناسى ما يجب علينا فعله بها.....

قاطعها صوتُ أحد الحرس عندما دخل مسرعًا على شاهين فقال بلهفة:

- هيا قل... وجدتم بتول؟

- لا يا سيدي للأسف ليس لها أي أثر.

- إذن لماذا تريني وجهك الشؤم الآن أيها الغبي؟!

- سيدي لقد اختفى رمح منذ يوم العرس..

- رمح؟ أي رمح؟!

اندهشت سهر عندما سأل هذا السؤال...

أجابه الحارس:

- رمح الفرس يا سيدي، فقد هربت بتول به وفجأة وجدناه أمام باب القصر.

- رمح عاد وحده؟! ولماذا تركته بتول؟ بالتأكيد هي لم تبتعد كثيرًا، ترى أين ذهب بها؟ أيمكننا معرفة ذلك من خلاله مرة أخرى؟

- لا أعلم يا سيدي ولكن لن نخسر شيئًا إذا حاولنا.

- أغرب عن وجهي أيها الغبي، سأمتطي "رمح" بنفسي وسأتعقب أثرها، أطعمه واجعله يرتاح قليلًا وبعدها سأقوم بالبحث.

غضبتْ سهر وصرخت في وجهه:

- هل جننت يا شاهين، هل ستمتطي "رمح" وتجوب الشوارع والأزقة والأراضي باحثًا عن خادمة؟!

- لا تقولي خادمة، أنتِ لا تعلمين من تكون تلك الفتاة بالضبط وماذا تعني لشاهين.

بعد بضع ساعات امتطى شاهين حصانه رمح ولم يوجهه إلى أي مكان؛ تركه يعدو في الشوارع والقرى مثلما فعل مع بتول على أمل أن يتتبع أثرها ويعثر عليها.

في تلك الأثناء وصل ظافر إلى باب القصر وطلب من الحرس مقابلة السيد شاهين، ولكن علم أنه غادر للتو ولا يعلمون متى سيعود، سمعته سهر وأمرت بإحضاره إلى مجلسها، ما إن رأته أخذت ترمقه بنظرات الإعجاب فكان ظافر وسيمًا يرتدي زي الفرسان وينظر إليها بعينيه البندقية اللون الواسعة ممسكًا بلحيته وهو يمشطها بإحدى يديه.

- مرحبًا بك في قصر شاهين أيها الفارس...

- ظافر، اسمي ظافر.

- حسنًا أيها الوسيم ظافر، كيف لي أن أساعدك؟

شعر ظافر بنظرات الإعجاب التي تبدو واضحة عليها وابتسم محاولًا استغلال هذا الأمر للحصول على أي معلومات تخص بتول.

- من الواضح أنكِ السيدة الجميلة سهر مالكة القصر.

- هاهاها نعم يا ظافر هي أنا.

- جئت لكم اليوم متمنيًا الحصول على وظيفة بين الحرس لديكم، فكم حلمت بوجودي هنا وخصوصًا عندما سمعتُ عنكِ، أقصد سمعت عن السيد شاهين.

وقفت سهر من مجلسها واقتربتْ من ظافر بدلالٍ وقد زاد إعجابها به بعد الإطراء عليها.

- أنت فقط تتمنى أيها الفارس ساحر العينين وأنا سأحقق لك أحلامك.

- بوركتِ سيدتي الجميلة ولكن أين هو السيد شاهين؟!

تبدل هدوء سهر فجأةً وظهر على وجهها الغضب.

- خرج في جولة على الخيل ولا أعلم متى سيعود، ولكن وجوده من عدمه لن يغير قرار تعيينك فهو لا يعلم حتى من يعمل هنا ولا يعرف أسماء الخدم والحرس عدا الفتيات والنساء والآن يهرول خلف إحداهن.

- ماذا تقصدين يا سيدتي؟!

- لا... لا شيء.. لا تتعجل ستقابله حينما يعود.

استطاع ظافر في مقابلةٍ واحدةٍ أن يكون واحدًا من أفراد قصر شاهين وجلس مع بقية الحرس يتناول الطعام وينعم بقسطٍ من الراحة، وحاول أثناء ذلك استدراجهم في الحديث.

- كيف لسيد القصر أن يخرج وحيدًا في جولة؟ لم أرَ ذلك من قبل!

- هاهاها لا تتعجب يا صديقي فأصابه الجنون مؤخرًا بسبب تلك الفتاة التي سرقت عقله وقلبه.

- أي فتاة؟!

- الخادمة بتول...

- وأين ذهبت؟

- يوم زفافهما سرقت الفرس "رمح" وركضت بعيدًا ثم عاد الفرس من دونها ولا ندري أين ذهبت، لقد بحثنا عنها في كل مكان

دون جدوى، وذهب هو الآن للبحث عنها بنفسه وليته لا يعود هو أيضًا؛ هذا القصر لا يحتاج إليه وحتى تجارته تديرها السيدة سهر فهي من يستحق كل هذا ونعتقد أنها من حرضت بتول على الهروب لشدة غيرتها وغضبها منها.

- أمممم... بتول.. من الغريب أن تستطيع خادمة سرقة قلب سيدها هكذا فما المميز بها.

- الأغرب يا صديقي أنها صغيرة جدًّا وكانت ابنة أحد أصدقائه وبعد وفاته قام هو بتربيتها ولكن كان لا يعلم أنه سيفقد عقله على يدها، على الرغم من أن السيدة سهر جميلة وذكية ومن نسل (المكارب) أعظم قادة في الدولة الحميرية، وآخر فارس فيهم هو أخوها المعروف بقوته وبطشه.

انتبه ظافر لما يقوله الحارس وقال بدهشة:

- أتقصد (مكرب)؟!

- نعم الفارس والقائد العظيم مكرب هو الأخ الوحيد للسيدة سهر وآخر نسل المكارب.

ساد الصمت ولم يتفوه بعدها ظافر وأصبح شاردًا تمامًا حتى قطع صمته صوت الحارس:

- ما بك يا صديقي؟!

- لا عليك، مرهق بعض الشيء... كنت أتمنى مقابلة أحد ما من المكارب والآن أنا حارس لواحدة منهم وليتني أحظى بمقابلة القائد مكرب في يومٍ ما... هل يأتي إلى هنا؟!

- نعم ولكن قليلًا ما يأتي لمقابلة شاهين وسهر، يدخل في اجتماع سري مع أخته لبضع دقائق ثم يرحل بعدها، نحمد الله أنه لا يأتي كثيرًا فنحن نخشاه بشدة.

- أعتذر لك يا صديقي؛ يداهمني النعاس بشدة فقد أتيت من بلاد أخرى وكان سفري شاق للغاية، لنكمل حديثنا غدًا.

جلس ظافر يفكر، مكرب هو الأخ الوحيد لسهر وآخر نسل المكارب وكان يأتي إلى هنا، بالطبع رأى بتول أو عرف حكايتها أو أنه يعرف من تكون من البداية فلماذا تركها ولم يأخذها منذ صغرها!

لماذا ساعدتها سهر على الهروب؟!

ما كل تلك الألغاز؟ وكيف أستطيع حلها؟ يا ألله ساعدني فكل لحظة تمر يقترب الخطر وقد تنتهي حياة حبيبتي.... ظافر هل قلت حبيبتي.. أنت لم تتحدث معها سوى لحظات قليلة فكيف أحببتها بتلك السرعة، كنت تود القضاء عليها وهي من قضى على قلبك الآن بعد أن استوطنته بنظراتها ودلالها العربي الفتاك.... سأجدها مهما كلفني الأمر حتى لو كلفني حياتي.

في الصباح جلس ظافر يفكر في طريقةٍ سريعةٍ يستطيع إيقاع سهر بها للحصول على أي معلومات خاصة ببتول.

توجه إلى مجلس السيدة سهر التي كانت في حالة من الغضب بسبب تأخر شاهين حتى الآن.

- صباح محفوف بالعطور وأجمل باقات الزهور لسيدتي الجميلة سهر التي تسرق النوم من العيون وترغم أقوى الفرسان على السهر.

انتبهت له سهر وابتسمت برقة بعد سماع كلماته الغزلية وأمسكت بخصلة من شعرها تداعبها وقالت في دلال:

- من أين تأتي بتلك الكلمات، ظننتك فارسًا وليس بشاعر.

- أنا فارس وحارس حينما أشعر بالمخاطر تداهمك، وأكون شاعرًا إن وجدت الحزن يقتحم فؤادك، وما إن نظرتُ إليكِ وجدتك شاردة حزينة ولكنك أكثر جمالًا هكذا، فما بكِ أيتها الساحرة؟

- ظافر، لأول مرة يشعر أحد بي ويهتم لأمري هكذا، أتعلم؟ لم أتذوق من قبل معنى الحب والحنان، الكثير من القادة والتجار حاولوا التقرب مني ولكن لم يلفت أحدهم انتباهي، غير أن أخي أرغمني منذ سنوات على الزواج من شاهين مبررًا هذا الأمر بتجارته المشتركة معه، لم أصدقه وقتها فكان الكثيرون مثله ولكنه أصر على ذلك، تزوجتُ شاهين ومنذ اليوم الأول معه ونحن بعيدان تمامًا عن بعضنا البعض، أتعلم؟ نادرًا ما يقترب مني ويلمسني.

ارتبك ظافر حينما وضعت يدها على صدره وتتدلل هكذا فابتعد قليلًا.

- كيف له أن يتحمل الصمود أمامك، لو كنت مكانه ما تركتك وحيدة للحظة.

- حقًّا يا ظافر؟!

- بالتأكيد سيدتي ولكن ليس كل ما نتمناه ندركه، فأنت ملك السيد شاهين ولستِ ملكي أنا ولن تكوني هكذا أبدًا.

- لا.. لستُ ملكه.. وسأتخلص من هذا السوط الذي يلتف حول رقبتي فلا حاجة لمثله معي.

- وأخوكِ (مكرب)؟

- ماذا؟ هل ذكرت لك اسمه من قبل؟ لا أتذكر ذلك؟

ارتبك ظافر وتساقط عرقه على وجهه بشدةٍ فجففه بجزءٍ من عمامته قائلًا:

- سيدتي لقد قلتِ للتو أن أخي مكرب أرغمني على الزواج به.

- حسنًا لا عليك... يجب ألا أخضع لمكرب مرة أخرى، كفاني ضياع كل ما مضى من العمر ولكن أريد مساعدتك على تنفيذ شيء ما.

- ما هو؟ وأنا تحت طوعك سيدتي.

- انتظر حتى يعود شاهين وسأخبرك ماذا سنفعل بعدها.

خرج ظافر من غرفة سهر يحدث نفسه: "انتظر... انتظر... كم من الوقت سيمر عليّ هنا في هذا المكان الخانق، ولكن ليس هناك شيء آخر أعمله، وهذا ما أراده الكاهن الأبيض بسطام، بالتأكيد سأصل لشيء ما هنا، أو أصل إلى مكان مكرب نفسه وأفك تلك الألغاز الغريبة".

*****

سر الوشم الأحمر

جلست "باهلة" أمام الكوخ تطهو شيئًا ما في إناءٍ معدنيٍّ واسعٍ تلحفه ألسنة النيران المتقدة من الأسفل.. تقف لإحضار بعض حبات الخضروات من على طاولة صغيرة بجوارها وتسير بخطوات ثقيلة بظهر مُنْحَنٍ، كانت تغطي شعرها بحجابٍ أسودَ طويلٍ، ولكنّ بعضًا من خصلاته البيضاء سقطت من تحته.

باهلة تبلغ من العمر ٨٠ عامًا فهي في مرحلة الكُهولة، ذات وجه تملأه التجاعيد ويتناثر عليه الكثير من النمش.

تأتي من خلفها فتاةٌ تتثاءب ثم تنظر إلى الخضرة حولها والطيور التي تملأ المكان وتبتسم برقة ثم تجلس بجوار باهلة.

- صباح الخير خالتي باهــلة.

- أخيرًا نهضتْ الكسولة بتول من غفوتها الطويلة.

- هاهاهاها... ولمَ لا أغفو كثيرًا فكنت أشعر أنني لم أنعم بالراحة والنوم منذ سنوات، كم كنت مشتاقة للعيش في أي مكان، بعيدًا عن كوني خادمة، أجد هذا وهذه يأمرونني كل لحظة ويعاملونني كالحيوان المشرد، خالتي باهلة كيف لي أن أشكركِ على إنقاذ حياتي من هذا المعتوه ظافر.

- صغيرتي هذا واجب عليّ وأمر كان يجب تنفيذه بأي شكل.

- خالتي لم أستطع سؤالك منذ ذاك الوقت كيف استطعتِ

حملي من صحراء الربع الخالي وحيدة في لمح البصر وإحضاري إلى هنا، من يقوم بمساعدتك؟! ولماذا لم تجديني من البداية قبل أن يعثر ظافر علي؟ ولماذا كان يريد التخلص مني؟ الكثير والكثير من الأسئلة التي أبحث عن إجابة واحدة لها، أرجوكِ أريحي قلبي واشرحي لي ماذا حدث بالضبط.

ضيقت باهلة عينيها ثم نظرت إلى السماء قليلًا في صمت وقالت بهدوء:

- لقد حان وقت فتح الصندوق يا عزيزتي ويا ساحرتي الصغيرة.

اندهشت بتول قائلة:

- صندوق؟ ماذا؟ أنا ساحرة؟ هاهاهاها بوركتِ خالتي فلقد جعلتِني أفكر أكثر وأكثر.

- هاهاهاها أنتِ تثرثرين كثيرًا أيتها المشاغبة.

- يا ويلي أصبحت مشاغبة وساحرة في لمح البصر، هيا يا باهلة ألقي عليّ مزيدًا من الأوصاف ولا تقصي أي شيء مما أريد معرفته.

- صغيرتي **(كثرة المعرفة تقلل المعرفة، وكثرة المعرفة تزيد الهم والغم).**

- ماذا تقصدين يا باهلة؟

- تشتاقين لمعرفة كل شيء فما أدراكِ أن معرفة كل الأسرار قد تريح عقلك وبالك، هناك أسرار إذا خرجت عن الصندوق قد يتحول الإنسان إلى جحيم، أو قد تعيده إلى الجحيم مرة أخرى.

ارتجفت بتول فكان صوت باهلة مخيفًا وهي تنطق تلك الكلمات الغريبة:

- خالتي... ماذا تعنين بالعودة إلى الجحيم؟

- بعض البشر كتب عليهم المشقة وعدم الراحة على الرغم من أنهم ليس لهم ذنب يعاقبون عليه سوى أنهم يدفعون ثمن أصلهم وفرعهم.

- تقصدين الأهل؟!

- نعم هم الأهل، يرتكبون الجريمة ويدفع ثمنها الأبناء الأبرياء.

- لقد تشتت عقلي... من ارتكب جريمةً أدفع أنا ثمنها الآن؟ (أبي أم أمي؟)، لكنهما قتلا ظلمًا وليس لدينا معارف أو أقارب، لا أعلم في تلك الحياة سواهما و..... وصديق أبي الخسيس شاهين.

- شاهين وسهر يا ابنتي يعرفان الكثير والكثير...

- لا.. لا يا خالتي سهر ليست مثله، فلولاها كنت ما زلت حبيسة هذا القصر وجارية لشاهين يتمتع بي قليلًا ثم يلقيني بأي كوم قمامة بعد أن يمل مني لتأتي غيري.

- وزوجته سهر يا صغيرتي كذلك أيضًا، لم تكن تساعدك من باب الشفقة والخوف على مصيرك، بل كانت تسعى لشيء أكبر وأعظم لوقوعك في فخٍّ لن تستطيعي النجاة منه أبدًا.

- معنى كلامك أنها من سلمتني لظافر، وجعلته يتتبع خطاي حتى يقضي عليّ بعيدًا عن القصر؟ أيعقل؟!.... وما العجيب في ذلك؟، في الحالتين كان يريد التخلص مني.

- لتصمتي قليلًا ولتصغي إلى كل حرفٍ سأقوله ولا تعيدي تكرار الأسئلة ولا تقومي بالاستفسار عن الأكثر، فقط اسمعي ما سأرويه، اتفقنا.

- حسنًا باهلة اتفقنا، أسمعك دون التفوه بكلمة...

وضعت بتول يديها على فمها حتى لا تتحدث دون أن تشعر فتلك عادتها، وبدأت باهلة في حديثها العجيب الذي سيصعق بتول من هول المفاجأة.

- أبدأ حديثي بالسلام على الماضي الذي عبر وترك لنا الدروس والعبر، يقولون إن كثرة المعلومات والمعرفة تصيب المسنين أمثالي بالنسيان وداء (الزهايمر).. بالفعل نسيت الكثير والكثير إلا ما هو متعلق بأمرك، حياة **(بتـول طاهــر عبـدول)** غير الجميع، ومصيرها مريـع، إما أن تنجو وتنجينا، أو تضيع ومعها نضيع.

حاولت بتول التفوه وكادت أن تضحك بشدة ثم أمسكت بفمها مرة أخرى عندما رأت نظرات باهلة الغاضبة إليها.

- عبدول هو (عبد الله الحظرد) جدك الملقب بالساحر المجنون (ابن بعلزبول) المختفي العائد، والعائد الثائر، والثائر المدمر. ظن الجميع أنه لقى حتفه ولن يعود مرة أخرى وارتاحت البشرية من أفعاله الشيطانية، لكنه ما زال حيًّا بعد مرور تلك السنوات، مكبلًا بفعل الشيطان، عصى أوامره فقام بنفيه بعيدًا عبر بوابات زمنية غير مرئية في باطن الأرض السوداء، بداية من الحفرة المظلمة، وإذا حضر الموت هناك، لعلها تكون نهايته أو نهايتنا.

لم تقوَ بتول على الصمت أكثر من ذلك فشهقت بصوتٍ عالٍ قائلة:

- عبد الله الحظرد جدي، كيف؟!.... سامحيني ما ترويه شيء عجيب لم يأتِ ببالي ولا حتى بأحلامي وأيضًا تقولين كلمات كالألغاز لا أفهم منها شيئًا وكأنها شفرات وعلي أن أقوم بفكها ومحاولة تفسير كل واحدةٍ منها.

- نعم بتول... إنها شفرات، وغير مصرح لي أن أوضح لكِ ماذا تعني.. ستجدين من يكمل النقاط بين الجمل.. ويسير معكِ لتحقيق الأمل، إما أن يخطو هو إليكِ أو تركضي أنتِ وتبحثي عنه بلا ملل.

- باهلة كفى.. إذا كنتِ ستكملين حديثك بتلك الطريقة لا أود معرفة شيء، اسمعيني لا أريد معرفة ما سيحدث في الغد أو بعد الغد أو حتى بعد سنين، فقط أريد معرفة من أكون وما علاقتي بجدي الحظرد، ولماذا يريدون التخلص مني؟؟

- "كتب عليكِ يا صغيرتي أن تكوني من آخر نسل الساحر عبدول، عندما هربتْ جدتك بعد اختفاء زوجها عبدول عادت إلى صنعاء واختفت في منزلٍ، بعيدًا عن الأنظار حتى لا يطاردها أحدهم وشعرت بتلك البذرة في رحمها وكانت تخشى أن يراه أحدهم ويقوم بالخلاص منه خوفًا أن يسير على نهج والده، غير أن بعض الأساطير تروي أن نسل عبدول هو من سيعيده إلى الحياة فكان القضاء على أي شخص له علاقة به هو أنسب وأيسر الحلول.. بعد أن أنجبت جدتك والدك "طاهر" ربته في وسط الغابات متنقلة من مكانٍ إلى آخر حتى تم الرابعة عشر وكانت من شدة العمل في أماكن غير مهيئة

للمعيشة أضاع صحتها وهاجمها مرضٌ غامضٌ بدأ يأكل عظامها ويفتته، كانت تعيش في مكانٍ قريبٍ من هنا، أسرع ابنها طاهر إلى كوخي وبدأ يستنجد بي لمساعدة والدته، ذهبت إليها فأمسكتْ يدي بقوة وقالت لي: (ابني أمانة، إنه طاهر عبدول).

علمت أنه ابن عبدول الحظرد ولكن القليل من كان يعرفه بعبدول فكان ينادون جدك بعبد الله أو الحظرد أو الساحر المجنون، أو ابن الشيطان، فكان عبدول غير مألوف لهم. كنت أعلم أن مساعدتها باتت مستحيلة فإنها كادت تلفظ بأنفاسها الأخيرة.

بعد يومين تَوَفَّاها ودفنتها بمساعدة طاهر بعيدًا عن الناس، نصحته أن يبتعد ويعود للانخراط بين الناس ويعيش حياته بصورة طبيعية، وألا يفكر أبدًا بما كان يفعله والده ويحصن نفسه وولده فيما بعد من أفعال الجن والشياطين حتى لا يسيروا على خطى جدهم المجنون، وبالفعل كان يريد والدك الاستقرار والحياة الكريمة، ذهب إلى المدينة وبحث عن وظيفة، حتى أتقن حرفة صناعة الحليّ لدى أحد التجار، ربح منها الكثير والكثير حتى أصبح في يومٍ من الأيام صاحب محل لبيع الحلي والمجوهرات، وأصبح لديه منزل كبير وراقٍ. تعرف بعدها على (ريما) والدتك وتزوجها وعاش معها أجمل أيام حياته... وفي يوم تشابهت فيه الأرقام والأيام مع السنين...".

- أتعنين يوم ميلادي (٨ – ٨ – ٨٨٨)؟!

- "نعم هو ذاك اليوم، حيث ذكرت الأساطير أن مولود تلك الأرقام المتشابهة في أي زمن قد تصيبه لعنة أو مرض، احتل الذعر

قلب والدك بسبب تلك اللعنة ووجدته يركض في يوم مولدك حتى يجد لديّ حلًّا قد يساعدك على النجاة، فلجأت وقتها إلى كاهنة كبيرة من النساء اللاتي اختفينَ في وقتنا الحالي وبقي منهم كبار الكهنة الرجال منقسمين في عدة مناطق من أطراف صحراء الربع الخالي.

طلبت منه الكاهنة (خنساء) إحضارك لكهفها على وجه السرعة، وانتظرته معها حتى أتى بكِ إلينا، كنتِ طفلة غاية في الجمال وتشبيهين الملائكة، وضعت خنساء يدها على رأسك ثم نظرت إلى والدك بحدة قائلة: ليست ابنتك الوحيدة.... أين الأخرى ولمَ لم تحضرها معك؟!".

فتحت بتول فمها وصرخت:

- باهلة ماذا تقولين، هل لدي أخت؟

- "نعم، كان لديكِ أخت توأم، لكن والدك قال وقتها لقد ولدت بلا روح وعندما رآها هكذا خشي عليكِ من الموت أنتِ الأخرى وأسرع إليّ لينقذك، وتأكد أن سبب موت أختك هي تلك اللعنة.

غضبت الكاهنة خنساء وقالت له وقتها: "كان يجب أن أقوم بتكفينها ودفنها بنفسي يا نسل عبد الله الحظرد".

ارتجف والدك ولم يسأل عن السبب وتوسل إليها بمساعدته حتى يقوم بحمايتك، وضعتك على طاولة عالية وأشعلت الكثير من الشموع والبخور، وأخرجت من داخل شجرة غريبة كتيبًا قديمًا وأخذت تردد بعض الكلمات الغريبة المذكورة به، ثم أحضرت سكينًا

يده مصنوعة من (الورل الضخم) ورل الصحراء وغرسته في سائلٍ ما ثم كتبت على ذقنك به كلمة (المحصنة) وفجأة تحولت تلك الكلمة إلى هذا الوشم الأحمر على ذقنك مما جعل خنساء في حالة ذعر غير مصدقة لما تراه وكأنها لا تعلم ما كان سيحدث بعد تلك الكلمات.

نظرت إلى والدك في غضب قائلة: (أريد جثة توأمها في الحال).

أرسل والدك طاهر جثة الرضيعة مع أحد أصدقائه ليقوم بدفنها قبل أن تعلم والدتك بوجودها حتى لا تنهار وعند عودته له لإحضارها، قال إنه دفن الجثة في إحدى بقاع الصحراء الواسعة ولم يترك أي دليل يرشده إلى مكان القبر فكيف له أن يحضرها.

صمتت خنساء قليلًا وتركتنا وهي غاضبة ودخلت لأعماق الكهف الذي تعيش فيه وكأنها تحدثت إلى شخصٍ ما بالداخل، ثم خرجت مبتسمة، وتمسك في يدها رمحًا أسودَ ضخمًا سلمته ليد والدك، وقالت: هذا رمح بتول، وهي من أطلقت عليكِ هذا الاسم ومعناه (العذراء).

وعندما سألها طاهر عن الرمح، قالت: (احتفظ به حتى تصبح بتول في عمر الحادية والعشرين)

كم عمرك الآن بتول؟!".

ابتلعت بتول ريقها وتسارعت أنفاسها وقالت متلعثمة:

- سأكمل الحادية والعشرين بعد عدة أيام.....

- يا إلهي، ألم تري الرمح من قبل في مكانٍ ما في منزلكم القديم؟

- كنت صغيرة في السن وقتها ولا أتذكر أنني رأيته من قبل وبعد وفاة أبي وأمي أستولى شاهين على أملاكنا كلها زاعمًا الحفاظ عليها كونه الواصي الوحيد، ولكن لم يسلمها لي ولن يسلمها لي إلى الأبد، ما ذهب إلى جوفه لا يعود...ولكن باهلة، ما سر هذا الرمح وذاك الوشم؟!

- لقد عرفتِ ما كان يجب أن تعرفيه حتى الآن، باقي الأسرار ليست في جعبتي، شخص آخر يحتفظ بها داخل صندوق آخر.

- وكيف أجد هذا الشخص؟!

- لا أدري يا صغيرتي، ربما في المكان الذي هربتِ منه، ربما هو العدو الحبيب، ربما هو من يسكن الكهوف البيضاء، وربما هم جميعًا.

- ياااا ألله عودة مرة أخرى للألغاز... ارحميني باهلة، كفاني ما سمعته..

- بتول يجب أن تعثري على ذاك الرمح قبل أن تتمي الحادية والعشرين.. ابحثي في مسقط رأسك لتعودي به للبؤرة السوداء ليحضر الموت وتصيح الأفاعي...

- لاااا... سيجن جنوني إذا جلستُ معكِ أكثر من هذا... سأرحل لأجد جوابًا مناسبًا لباقي أسئلتي عند شخصٍ ما، لا ينطق بالألغاز المشفرة أبدًا وإلا قطعت لسانه.

وقفت بتول لترحل ثم التفتت مرة أخرى لباهلة التي كانت تنظر إليها وتضحك على غضبها وثرثرتها التي لا تنتهي.

- خالتي.... لم تقولي لي حتى الآن كيف أحضرتِني إلى هنا وكيف وصلتِ إليّ وقمتِ بحمايتي من يد ظافر.

ضحكت باهلة بصوت عالٍ قائلة:

- (ما أقسى أن يكون الحبيب هو العدو المتخفي الذي يلقي بالسهم في صميم القلب ليقتله، وما أجمل أن يكون مدعي العداوة ما هو إلا الحبيب المتخفي الذي يتلقى الأسهم وينتشل الألم والحزن وبعيدًا عن قلبِ الحبيب يحمله)

تنهدت بتول قائلة:

- ما أجمل كلماتك لكن لا أفهم منها أي شيء، حسنًا قبل أن أرحل وأعود لمواجهة مصيري سؤالي الأخير وأعتقد أن إجابته لديكِ: (ظافر هو الحبيب العدو أم العدو الحبيب)؟

- هاهاهاها... الإجابة في صميم قلبك.

(في كل خيبة درس، وفي كل دمعة قوة) كوني قوية، كوني جميلة، كوني عنيدة وصعبة المنال، دعي الجميع يقولون: (سبحان من زينها بالثقل، تلفت، ولا تلتفت)

- باهلة سأرحل ولكن ذكريني في المرة القادمة إذا كنت على وجه الحياة، أن أحضر معي ورقة وقلمًا وأدون تلك الكلمات الثمينة التي لا أفهم معناها هاهاهاها.

- لا بأس يا صغيرتي غدًا ستفهمين، غدًا ستحلين ألغازك بنفسك، غدًا وإن غدًا لناظره قريب.... جعلتك في ودائع الله بتول وعودي إلى باهلة منتصرة.

*****

مخطوط الشياطين

صرخت سهر بصوتٍ عالٍ:

- أيها الحرااااس، اجمعوا أمامي.

جاء إليها في الحال جميع الحراس وبينهم ظافر ينتظر أوامر سيدته سهر.

- لقد تأخر شاهين في العودة وأخشى أن يكون وقع في شركٍ ما أو أُصابه مكروه، انتشروا جميعًا وابحثوا عنه ولا تأتوني إلا به.

هرول جميع الحرس للخروج من القصر فصاحت مرة أخرى:

- إلا أنت يا ظافر.... أقصد أريدك لأداء مهامٍ أخرى.

عاد ظافر وانتظر حتى رحل جميع الحرس، ثم نظر إليها وقال بهدوء: تُرى ماذا تريد الجميلة من فارسها ظافر؟

- هاهاهاها أيها المتحذلق، فقط لا أريدك أن تبتعد عن ناظري لوهلة، ولأكون معك على راحتي بعيدًا عن الجميع.

- فهمت يا سهر العيون، ولكن بدا عليكِ القلق على شاهين وذلك يجعلني في موضع حيرة ودهشة من أمرك، هل تحبينه وتودين الاطمئنان عليه بالفعل، أم هو مجرد افتعال أمام الحراس؟!

- هناك أشياء كثيرة بيننا علينا تسويتها قبل أن يرحل عن الدنيا، دعك من هذا الآن واقترب مني فنحن الآن وحدنا في هذا القصر الكبير.

ارتبك ظافر وابتعد عنها قليلًا قائلًا:

- نحن ما زلنا في وضح النهار، وكنت أنوي زيارة صديق لي اليوم فقد وعدته، إنه قريب من هنا سأذهب إليه الآن وأعود لأجلك وسأكون بين يديك للسهر يا سهر عيني.

ضحكت سهر بدلال بصوت عالٍ قائلة:

- وأنا في انتظارك يا فارس أحلامي، وإياك أن تتأخر حتى لا أقلق وأجلس وحيدة كل هذا الوقت.

خرج ظافر من باب القصر وهو يلتقط أنفاسه ويتأفف ثم امتطى حصانه وركض مسرعًا إلى طرف الصحراء، بعد عدة ساعات وصل إلى الكهف الأبيض ثم دخل مسرعًا لكبير الكهنة.

- سيدي تلك المرأة سهر تريد أن توقعني في شرك الرذيلة ولا أدري ماذا أفعل والأيام تمر دون جدوى، أرى أنني عليّ البحث عن بتول في مكانٍ آخر فلن أصل في هذا القصر لأي شيء.

نظر إليه الكاهن بغضبٍ وقال بحدة:

- هل أمرتك بالذهاب لمكانٍ آخر؟!

- لا... ولكن سيدي.....

- أنت تضيع الوقت الآن بحضورك إلى هنا.. ظننت أن هناك أمرًا مهمًّا تود إخباري به ولم تقوَ على الانتظار.

- سيدي لقد تذكرت.. هناك أمر مهم أود أخبارك به..

- تحدث يا ظافر... ماذا حدث؟

- سهر زوجة شاهين..

- حسنا... أكمل... وبعد.....

- سهر هي أخت مكرب آخر نسل المكارب وهذا ما زاد حيرتي وزاد الأمور تعقيدًا، هناك نقطة ضائعة لا أفهمها ولا أدري كيفية الوصول إليها.

ابتهج وجه الكاهن بسطام قائلًا:

- تذكرت الآن فقط؟ كان عليك إخباري من أول وهلة رأيتني بها، أتظن أن هذا الخبر يستحق قدومك إلى هنا ويغفر لك هذا التصرف؟ أنا أعلم منذ البداية من هي سهر.

- تعلم!! وما أهميته إذًا؟! لمَ لمْ تخبرني من قبل وتكلفني مشقة الحضور إلى هنا؟

- اصمت الآن وعليك أن تفعل ما سأقوله فأنصت جيدًا ولا تناقشني....

عاد ظافر ليلًا إلى القصر وزحف بهدوء لعل سهر تكون نائمة ويستطيع الإفلات منها ومن نواياها البغيضة، لم يكن هناك أي صوت بالقصر وأضواء الشموع تكاد تكون قليلة وخافتة.

أخذ ظافر يبحث بهدوء في كل جزء بالقصر عن أي شيء قد يرشده إلى أي معلومة تخص مكرب أو سهر أو بتول كما أمره الكاهن...

وبعد ساعة من البحث في عدة غرف لم يعثر على أي شيء ولم يبقَ سوى غرفة شاهين التي تنام بها سهر ومكان آخر في بدروم القصر... ليس أمامه الآن سوى الدخول خلسة وبخفة إلى غرفة سهر ويفتشها دون أن تشعر.

صعد ظافر إلى الطابق الثاني بهدوء ممسكًا بيده شمعة كبيرة ثم فتح باب غرفة سهر والذي أحدث صريرًا خفيفًا، فزع منه وكان يخشى أن تكون سهر سمعته، صمت قليلًا ليشعر بأي حركة ولكن كان الهدوء هو سيد الموقف.

دخل ظافر إلى الغرفة ولكنه فوجئ بعدم وجود سهر على فراشها، ارتبك بشدة، فأين ذهبت تلك الشريرة، أم تحضّر فخًّا له وعرفت حقيقته.

حدث نفسه قائلا: "من الواضح أن المجازفة هي سيد الموقف هنا لأبحث بالغرفة ويحدث ما يحدث بعدها".

أخذ يبحث في كل مكانٍ فلم يجد سوى المال والذهب وبعض الأوراق القديمة، كان من ضمنها أوراق خاصة بوالد بتول -طاهر-، لم يكن لديه الوقت ليقرأها فوضعها مسرعًا داخل عباءته وخرج من غرفة سهر مسرعًا ثم أغلقها.

هبط للطابق السفلي باحثًا عن سهر، ولكن لا يسمع أي صوت ولا يرى أحدًا.. ثم توجه إلى بدروم القصر ووجد بعض المشاعل متقدة على جانبي الدرج الضيق، نزل إلى أسفل وكان الدرج طويلًا ومستديرًا وكأنه قبو تحت الأرض.

وعندما اقترب من نهايته سمع همسًا وتمتمة غريبة.

- جئت لك اليوم طائعة وأرجو رضاك يا مولاي، مالكي وسيدي (بعلـزبـول).

تجمد ظافر في مكانه على باب الغرفة أسفل القبو عندما رأى سهر تقف أمام تمثال، رأسه على هيئة ماعز وجسده جسد إنسان ضخم أسود ويوجد أسفله الكثير من الدماء وكأنها دماء قرابين قدمت له.

كانت تردد كلمات الولاء والطاعة لهذا التمثال، وتأكد ظافر أن سهر لا تعبد إلا الشيطان، ولكن تفعل تلك الطقوس في الخفاء، فالجميع يعلم أنها وزوجها شاهين مسلمان يعبدان الله وحده لا شريك له.

بعد لحظات كان ظافر يفكر فيما يفعل الآن، وهل يدخل عليها الغرفة أم يهرب بالأوراق التي وجدها في غرفة شاهين ولم يعد مندهشًا مما يراه فبالطبع أخت (مكرب) من البديهي أن تكون من عبدة الشيطان.

أنهت سهر صلاتها ثم التفتت إلى الوراء حينما شعرت بأنفاس قريبة منها، ثم بدا عليها الغضب وصرخت:

- ظافر؟! منذ متى وأنت هنا؟! لمَ تتسلل هكذا دون أن أشعر بك؟ ولماذا نزلت إلى القبو؟ فالجميع يعلم أن النزول إليه محظور... انطق.. لمَ كل هذا؟!

حاول ظافر السيطرة على توتره حتى لا يبدو عليه الخوف أو القلق منها وأن يُظهر لها أن ما رآه شيء جميل أسعده.. قال مبتسمًا بهدوء وهو يقترب منها ويمسك يدها:

- سهر مهما تحدثت الآن وشرحت لكِ لن أستطيع وصف شعوري وسعادتي أبدًا.

اندهشت سهر ولم تتفوه بكلمة... عاد ظافر ليكمل حديثه:

- الآن فهمت لماذا نشعر أننا قريبان من بعضنا البعض، ويرتاح كلٌّ منا للآخر، الآن فهمت لمَ ساقني القدر إليكِ.

زادت دهشة سهر ولا تدري أتسعد بتلك الكلمات أم تخشاه وتحذر منه، ابتسمت ثم أمسكت بيده التي يضعها على وجنتيها وأسقطتها قائلة بخبث:

- لا أفهمك أيها الفارس.... أريد توضيحًا شاملًا لكل حرف تفوه به فمك.

صمت ظافر قليلًا حتى يرتب كلماته لتبدو منطقية ثم قال:

- سهر.. يا سهر العيون.. لقد أتيت من مكانٍ بعيدٍ كنت أعيش فيه أنا وبعض الأصدقاء خوفًا من بطش الآخرين.

- من هم الآخرون؟ ولماذا تخافونهم؟!

- نحن الذين نوهب أرواحنا للشيطان ونقسم له بالطاعة، كنا نود التحالف مع كل أتباعه وكنا على وشك توثيق العهد لتكتمل الطقوس ونقابله في اجتماع سري، ولكن لم أجد من هو قادر على قيادة هذا الاجتماع. وكل يوم سبت من أيام الأسبوع أتلصص

وأبحث عن شخصٍ ما قد يعقد اجتماع (السابات) بالقرب منا ولم أجد أحدًا، ولكن شعرت الآن أنك سترشدينني إلى كل هذا.

زادت حيرة سهر، سألته بهدوء:

- أتعرف أيضًا طقوس السابات؟

- لا أعرف الطقوس بالضبط، لكن كل ما أعرفه أن أتباع لوسيفر، أقصد مولاي لوسيفر عليهم حضور هذا الاجتماع وإتمام الطقوس، فما هي تلك الطقوس بالضبط حتى يكون لدي فكرة قبل أن أحضرها؟!

- امممممم... قلبي يصدق كلامك.. لكن عقلي يريد بعض الوقت.....

قاطعها ظافر قائلًا:

- ألم تشعري بي كل هذا الوقت، أعطني كفكِ لأضعها هنا على صدري واقرئي نبض قلبي لتتأكدي من حقيقة شعوري.

أمسك بيدها ووضعها على صدره بشدةٍ وهو ينظر إلى عينيها فَسَحرها في لحظةٍ وسيطر على قلبها وعقلها في آنٍ واحد.

اقتربتْ سهر بوجهها منه وقالت في دلالٍ ونعومة:

- دقات قلبك تقول أحبك سهر، أحبك...

حاولتْ تقبيله ولكنه انتبه لها وقال:

- ألن تشرحي لي كيفية إتمام الطقوس وماذا يحدث في السابات؟ متلهف لسماعك، تعاليْ لنجلس بغرفتك ونتحدث قليلًا.

صعدا إلى غرفتها بالطابق العلوي ولم ترفع هي نظراتها عنه في أثناء صعودهما، متلاصقة به وممسكة بيده بقوة.

دخلا غرفة شاهين وجلسا على الفراش ينظران لبعضهما البعض، كان ظافر مرتبكًا ولا يعلم ماذا سيفعل بتلك الورطة ولم يخبره الكاهن كيف سيتصرف إن حاولت الاقتراب منه فإن رفض الاقتراب منها حتما ستشك بأمره، فمن يعبد الشيطان لا يشغله تلك الأمور من الخيانة وارتكاب الكبائر والانخراط في المعاصي، بالعكس تلك هي طرق إثبات ولائهم له.

بعد لحظات حاولت سهر جذبه إليها وهي ممدة على الفراش فأسرع قائلا:

- احكي أولًا عزيزتي وارضي فضولي.

تأففتْ بشدة وقالت بغضب:

- ليس هذا بالوقت المناسب يا ظافر... لكن لا بأس ما زال أمامنا الليل بأكمله.. ماذا تريد أن تعرف بالضبط؟

- هل شاهين مثلنا؟

- هاهاهاها... وهل تظن أن سهر لا تستطيع جذب زوجها لعبادتها ليكون مثلها؟! نحن نخفي عن الجميع كل هذا.. عدا تلك الفتاة الغبية.

- من الفتاة؟ أتقصدين بتول؟

- وهل هناك غيرها؟

- ماذا؟ بتول تعبد الشيطان؟

- حاولتُ فعل هذا معها مرات عديدة، تارة تجعلني أسمعها وهي تقدم فروض الولاء وتارة تنفر عندما أطلب منها ذلك، ولكن أعتقد أنها كانت تريد إيهامي بهذا حتى أتركها وشأنها.

- هل حضرت معكم اجتماعًا من قبل؟

- لا.. ظافر هذا الاجتماع لا يحضره سوى الأشخاص الموثوق بولائهم وأخي يجهزه كل يوم سبت في مكانٍ ما في صحراء الربع الخالي.

- **(صحـــراء الربـــع الخـــالي)**

هي رابع أكبر صحراء رملية في العالم، وهي جزء من الصحراء العربية، تحتل الثلث الجنوبي الشرقي من شبه جزيرة سيناء، ويتجزأ الربع الخالي بين أربع دول هي: (السعودية، واليمن، وعمان، والإمارات) ترتفع به الكثبان الرملية ثلاث مائة متر، وتتحرك باستمرار وهذا ما يجعل الربع الخالي منعدم المعالم الثابتة، ومن دخل فيه دون أن يدرك مخاطره لقى حتفه.

كانت مهجورة قديمًا تمامًا، ولكن أصر الباحثون بعد ذلك على استكشافها ووجدوا أنها ممتلئة بالثروات الطبيعية كالنفط والغاز واستخراج المعادن والأحجار النادرة فقاموا بإنشاء عدة مصانع هناك.

قال ظافر بهدوء وخبث:

- وأنا لست من الأشخاص الموثوق بهم؟

- لا يا ظافر لست أعنيك... سأخبر أخي (مكرب) عن رغبتك في حضور اجتماع السبت القادم ونرى ماذا سيفعل.

- حسنًا لكن هيا، اشرحي لي كيف يكون اجتماع السابات؟

- ثرثارٌ ومراوغٌ كبيرٌ يا ظافر... حسنًا لتنصت وتتعجب فقط...

- **(الســـــابـــــــات)**

في العصور الوسطى كان من المعروف عن السحرة أنهم يتواصلون مع بعضهم البعض عن طريق التجمعات السرية التي تنعقد في (حضور الشيطان) أو كما يقولون (لوسيفر) وهو عبارة عن تجمع كبيرٍ لعددٍ مهولٍ من السحرة الذين يأتون من كل الأنحاء، وعليهم الالتزام بالحضور أينما كان الاجتماع وذلك لتجديد العهد مع الشيطان وتعميد السحرة الجدد ومناقشة أمورهم، أكثر الذين كانوا يحضرون هذا الاجتماع قديمًا كانوا من أتباع الديانات الوثنية القديمة أما الأغلبية فكانوا من السحرة وعبدة الشيطان، كان في اعتقادهم الزائف أن حضورهم يجعلهم يستمدون القوة وتلقى التعليمات التي تعينهم في أعمالهم السحرية.

- (طقوس السابات)

يحرص السحرة وعبدة الشيطان أن يكون الاجتماع بمعزلٍ عن أي مخلوقٍ آخر وتبدأ الطقوس والمراسم فور اكتمال عدد الحاضرين، بعد ذلك يجلس الشيطان في المنتصف في مكان الاجتماع يظهر بشكل كيان ضخم (كائن برأس ماعز وجسده أحمر قاتم) وما إن يظهر يقدم له الحاضرون فروض الطاعة والولاء والاحترام وينادونه قائلين: (يا ربنا)، ويتوسلون إليه ويسجدون له ثم يجلسون على مائدةٍ تقدم عليها الخمور والأطعمة غير المطهية وقيل إنهم يأكلون لحوم البشر أيضًا.. ويشربون دماءهم، وبعد الانتهاء يرقصون بغرابةٍ لبدء مراسم الاجتماع.. حيث يلتصق كل اثنين من الحاضرين ظهرًا بظهرٍ ويحركون رؤوسهم إلى الأمام والخلف ثم يقومون بالدوران حول أنفسهم كالمعتوهين.. وهم في غيبوبة تامة بسبب الخمور والمخدرات التي يتعاطونها قبل الرقص وتنتهي الحفلة ب (ممارسة الجنس الجماعي) وبعدها تبدأ مراسم التعميد وتجديد العهد حيث يقف الحضور قائلين: (نحن نكفر بخالق السماوات والأرض.... نحن نكره ونندم على عبادتنا السابقة.. ونتقدم بالولاء والعبادة لسيدنا إبليس.. أو لوسيفر أو بعلزبول.. الذي أعتقد فيه وأثق به)، ولتعميد الساحر يغطسونه في حوض به مياه سوداء لا يُعرف ماهيتها تسمى (المياه الشيطانية)، في اعتقادي أنهم يحضرونها من بئر برهوت.. ثم يطلق على الساحر اسم سري ويُعلم جسمه بالختم الشيطاني... ثم يقبل مؤخرة الشيطان كنوعٍ من الطاعة.

الحمد للّه على نعمة الإسلام وأشهد أن لا إله إلا اللّه وحده لا شريك له ونعوذ باللّه من همزات الشياطين ونعوذ بك ربي أن يحضرون.. الحمد للّه الذي عفانا مما ابتلى به كثيرًا من خلقه..

تنهدت سهر وهي تداعب شعر ظافر قائلةً:

- حسنًا لقد شرحت لك الآن أيها الفارس كل ما يخص اجتماع السابات، هل أنت على استعداد لكل هذا؟، لن تحتاج إلى التعميد فأنت لستَ بساحر، أنت فقط ستجدد العهد والولاء معنا، ويجب أن أكون معك حتى لا تلمس فتاةً أخرى غيري هناك أتفهم هاهاهاها....

امتعض وجه ظافر وكان يشعر بالاشمئزاز مما سمعه حتى إنه كاد يتقيأ بعد انتهائها من الحديث.

أمسكت سهر بكتفيه بشدةٍ وجذبته فوقها.

أثناء ذلك سمعت صوتًا ينادي بغضب، فقامت مفزوعة من الفراش وارتجفت قائلةً:

- شاهيــن... لماذا حضر الآن؟ هيا يا ظافر اختبئ الآن.. لا يجب أن يراك، هيا بسرعة ادخل هنا في المرحاض الخاص بالغرفة، هيا...

دخل شاهين الغرفة وكان يبدو عليه التعب والإرهاق، نظر إلى سهر بغضبٍ، وضيق عينيه قائلًا:

- إلى مَن تتحدثين يا سهر؟

ارتبكت سهر وقالت:

- مـاذا؟ لمـن سأتحدث؟ فأنا أجلس وحيدة هنا، حتى إنني أرسلت جميع الحرس للبحث عنك وتتبع أثرك.. انتابني القلق عليك فلقد تأخرت كثيرًا.

جلس شاهين على طرف الفراش محبطًا للغاية قائلًا:

- أخذت أجوب برمحٍ في كل الأنحاء وركض هنا وهنا، ينقلني من حواري المدينة إلى القرى، وبعد أيامٍ وقف بي على أطراف الصحراء المظلمة المميتة وأبى أن يخطو بعدها خطوة، أدركت أن تلك البلهاء رحلت دون أن تدري وذهبت إلى الجحيم، أيقنت أنها ماتت، فإن لم تبتلعها الرمال الكثبانية، التهمتها وحوش الصحراء، أو قتلها الأشباح والجان أو قاموا بنفيها لمكانٍ بعيد.... ضـاعت بتول... لم أستطع الحفاظ عليها كما وعدت "طاهر" حتى تقوم بعمل ما ولدت من أجله.

كان ظافر يسمع كل ما يقوله شاهين ودقق سمعه ليرى ماذا ينوي أن يفعل بعد ذلك هو والساحرة.

جلست سهر بجواره وربتت على كتفه قائلةً:

- من الصعب والمستحيل أن تكون لقيت حتفها، فهي المخلصة المكلفة بتجديد العهد والوعد (بعلزبول ينتظرها) على يقينٍ أنها ستظهر في أي لحظة.

- سهر.. لأول مرة تنطق شفتاكِ بشيء منطقي، لكن..... أنا أود العثور عليها قبل أن يجدها هؤلاء، قبل أن تلتقي ب (بعلزبول) يجب أن أعثر عليها.

نظرت إليه سهر بغضب قائلة:

- أعلم أنك خالفتَ الشروط والأوامر، أحببتَها يا شاهين وهذا مرفوض وحذرناك من قبل.... ظننتُ في بداية الأمر أنك معجب بها كأي فتاة دخلت القصر، ولكن حينما تأكدتُ من حقيقة مشاعرك وأنك أحببتَها بالفعل، أبعدتُها.. أقصد أبعدها القدر عنك لأنك خالفت العهد والوعد الذي عقدته مع السيد الأعظم.

- إن كان هذا العهد سيحرمني منها فأنا جدير بالوقوف أمامهم وأقبل التحدي وأتحمل كل النتائج وجاهز لأي عقاب أو حتى لعنة.

زاد غضب سهر وقالت بحدة:

- لا يعنيني مصيرك من الآن، فلم أعد أهتم، لدي ما هو أهم وأفضل الآن، وكأن سيدي يعوضني لولائي له، والأهم من العثور على بتول الآن هو العثور على (تيمـاء) وآن الآوان للخلاص من هذا الأمر بعد كل تلك السنوات.

غضب شاهين قائلًا:

- أعلم أن هذا ما يشغل (مكـرب)..... العثور على (تيمـاء) أولًا ثم القضاء على بتول تلك المراوغة تيماء استطاعتِ الهروب هي أيضًا على الرغم من أني كلفتهم بالاحتفاظ بها ومراعاتها حتى يحين الوقت المحتوم الذي أوشكتْ بوادره على الظهور.. لم يتبقَّ سوى أيام تفصل بيننا وبين حضور كبيرنا، سأتوسل إليه وقتها بعتقها وأنها لا تعلم شيئًا عن القوة التي تكمن بداخلها، وأعتقد أن لا أحد سيساعدها ويخبرها بحقيقة أمرها وما ينتظرها من أهوال.

ضحكت سهر بسخريةٍ قائلةً:

- قل ما شئت يا شاهين وتوسل للسيد الكبير وقتها بكل ما أوتيت، اخلد إلى النوم الآن وغدًا سيتغير كل ما هو منشود هاهاها، نـام يا شاهين.

وقف ظافر حائرًا خلف باب المرحاض وسأل نفسه: "(تيماء) من هي تلك؟ جئت هنا لأحل لغزًا فوقعت في عدة ألغاز، ولكن بالتأكيد هناك مفتاح واحد، وخيط يقودني لكل شيء ويدلني على الطريق الصواب".

بعد قليل دخلت سهر المرحاض وهمست له:

- فارسي لتخرج الآن بهدوء وغدًا سأخبرك بشيء مهم ستفعله، فكن متأهبًا، زمانك قادم وسيتم وضعك في اختبار شديد، أعتقد أنك ستنجح فيه وبجدارة، آمل ألا تخيب ظني وتعوضني عن كل ما فات، هيا يا ظافر، لتأخذ ساعاتٍ من الراحة فلا راحة بعد الآن.

في اليوم التالي جلس شاهين في بهو القصر وجمع جميع الحرس وصاح فيهم بحدة:

- ستجوبون أنحاء المدينة كلها، وتفتشون كل منزلٍ بها وكل كهفٍ وكل سردابٍ لعل بتول تختبئ في مكانٍ ما عند أحدهم.... هل تصغون أم مـاذا؟!

نظر شاهين إلى أحد الحرس بدهشةٍ قائلًا:

- من أنت؟ هل تعمل هنا منذ وقتٍ أم ماذا؟!

تقدم ظافر مرتبكًا ونظر إلى سهر بدهشةٍ... فارتبكتْ هي الأخرى قائلة:

- إنه ظافر، لقد أتى من مكانٍ بعيدٍ ليعمل لدينا وأعتقد أنه سيكون الأكفأ بينهم.

نظر شاهين إلى سهرٍ في خبث، ثم عاد ليتحدث إلى ظافر:

- يبدو أنك قويٌ وشجاع، حسنًا لتثبت أنك جدير بالعمل هنا وتأتِني بتلك الفتاة مع باقي الحرس.

أومأ ظافر برأسه مطيعًا لأوامر شاهين، وما إن كاد يخرج مع بقية الحرس حتى صاحت سهر:

- ظـافر... انتظر.

توقف ظافر وعاد إليها ووقف أمامهما، نظر شاهين إلى سهر قليلًا في تعجب وما إن كاد ينطق حتى قاطعته هامسةً في أذنه:

- بقية الحرس سيتكفلون بالبحث عن بتول، ظافر لم يرَها من قبل ولا يعلم أي وجهة في تلك المدينة نحن نحتاجه في شيءٍ أهم وأسمى.

سألها شاهين بخبث:

- وما هذا الشيء الأسمى يا..... صاحبة السمو!

- ظافر من عائلتنا، خُدام السيد... ينتظر فقط التعميد، لقد تحدثت إليه.

قال شاهين بحدة:

- وما تلك الثقة أيتها البلهاء، من الواضح أنه فاتني أشياء كثيرة في أثناء غيابي عن القصر، وماذا أيضًا؟!... من الواضح أنكِ تعرفين الكثير عنه؟!

- شاهين.. كلامك يوحي بشيء بغيض... هل نسيت؟... أنا سهر.

- سهر.. سهر... لقد سئمتُ منكِ ومن تكرار اسمك ورؤيتك كل يوم.. افعلي ما تفعلين ودعيني لما أفكر في فعله.

نهض شاهين مستنفرًا حديث سهر، وبعد رحيله نظرت إلى ظافر بلطف قائلة:

- أعلم ما تفكر فيه، لكن لا تقلق، نهاية شاهين اقتربت وسيبدأ عهدك أنت، من يعلم فمن الممكن أن تصبح سيد القصر وتكون من أكبر تجار الذهب وأغنى شخص بالمدينة.

قال ظافر بهدوء:

- وأنا ملك لكِ سيدتي، وسأفعل أي شيء تكلفينني به، ولا تقلقي... لن أُخيب ظنك أبدًا.

في الليل جلست سهر على كرسي ضخم في البهو وكانت في حالة من التوتر.. تنظر من وقت لآخر إلى باب القصر وكأنها تنتظر قدوم أحدهم.

فجأة فُتح باب القصر وحده..

ابتسمت سهر بشدة ونهضت من مجلسها مسرعةً إليه.

إنــه أخوها مكــرب، ضخم البنية يرتدي زيًّا أسود غريبًا وفوقه عباءة سوداء وعمامة سوداء أعلى رأسه ولا يظهر من وجهه سوى عيونه السوداء القاتمة الجاحظة.

- سيدي مكــرب... اشتقت إليك يا ملك الأقوياء وأعلاهم.

احتضنته بقوةٍ ولكنه لا يبالي، ظلت يداه في جانبيه ونظراته حادة وغاضبة.

- سهر.... لماذا تُصرين على حضوري، هل الأمر مهم لهذه الدرجة؟!

ارتبكت سهر ثم جذبته من يديه بشدةٍ متوجهة إلى قبو القصر.

كان ظافر يتجسس عليهما، واندهش من وجود مكرب في هذا الوقت ولم يكن يتوقع ضخامته وهيئته تلك على الرغم من أن وجهه لا يظهر منه سوى عينيه.

دار حديث طويل بين سهر ومكرب وكان بمثابة صاعقة لظافر.. وبعد ساعة من تبادل الحديث بينهما قالت سهر بلهفة:

- سيدي مكرب بعدما علمنا بأمر شاهين وتأكدنا من نواياه المتسمة بالخيانة والضعف، يجب أن نتخلص منه على الفور، ولدينا البديل، فالظروف أوقعتني فيما هو أهلٌ لكل هذا والحصول على سلطة شاهين وهو من يستطيع أن يتولى مكانه.

صاح مكرب بغضبٍ جعل سهر تنتفض من الذعر:

- هل تريدين إقحام شخصٍ غريبٍ عنا فيما نفعل، ويكون بيننا يا سهر، هل جننتِ؟!

حاولت سهر تهدئته قائلة:

- ظافر ليس كأي شخص، إنه مثلنا، يبحث عنا منذ سنوات ويتوارى عن الجميع خوفًا من بطشهم إذا اكتشفوا حقيقة أمره.... فقط وافق على مقابلته والتحدث معه، والسماح له بحضور الاجتماع القادم ليقابل (بعلزبول) وإذا قابله وتعهد بالولاء لن يستطيع الإفلات منا إلا بخروج روحه، فمن تعهد... لم تعد روحه ملكًا له بعدها..

صمت مكرب قليلًا واقتنع بحديث سهر:

- حسنا أين هو، دعيني أتحدث إليه....

عندما سمعه ظافر ركض مسرعًا إلى الأعلى حتى لا يكتشفوا محاولة تجسسه عليهما.

صعدت سهر وصاحت في ظافر:

- ظافر.... لقد أتى سيدي والقائد الأعلى لسيدنا الكبير.. لقد حدثته عنك ويطلب مقابلتك فقط لا ترتبك وكن واثقًا بنفسك وقف أمامه كالوحش الكاسر... فهمت؟

ارتجف ظافر وأومأ إليها بالموافقة... ثم هبط معها للقبو.

وقف مكرب أمام تمثال (بعلزبول) بالقصر وكان يتمتم بعدة كلمات غير مفهومة حتى دخل ظافر عليه فصمت فجأة.

حاول ظافر أن يتمالك نفسه ويخفض صوت أنفاسه المتسارعة العالية حتى يبدو قويًّا، ظل مكرب صامتًا للحظاتٍ وفتح ظافر فمه..... فوضعت سهر يديها على فمه بسرعة مشيرةً إليه بعدم التفوه نهائيًّا.

استدار مكرب فجأة وقد كشف عن بقية وجهه.. الذي ظهر موحشًا بغيضًا وكأنه الشيطان نفسه، حملق بعينيه في وجه ظافر الذي لم يتحرك وبدا وكأنه لا يبالي بهذا المشهد.

قال مكرب بحدة وصوت أجش:

- سهر تقول إنك تريد الانضمام إلينا، هل تعلم ما ثمن ذلك.... يا ظافر؟ هل أنت قوي لهذه الدرجة؟!

نظر ظافر إليه بكل ثقة قائلًا:

- "أنا ظافر الذي لا يُشق له غبار

وأنا على هذا الدرب سائرٌ

الذي لا يعتريه الخطر أو الدمار

إذا رأى الموت أمامه أصبح كالأسد الأطلسي المغاور".

نظرت سهر إليه في إعجابٍ فلم تكن تدري أنه يملك تلك الفصاحة والثقة في الرد.

ابتسم مكرب وأومأ إعجابًا بثقته وقال:

- الأسد الأطلسي ظافر، أقوى أنواع الأسود التي وردت في كل الأساطير، ملتهم الشجعان، مصارع وكابوس البشر جميعًا.... هذا وصفه فهل تملك كل هذا يا أطلسي؟!

نظر إليه ظافر بكبرياء قائلًا:

- ظافر إذا قال صدَق، وإذا لم يقل فأثبت وفعل، ستثبت لك الأيام من أكون، من يتحداني يهدر قوته ووقته بلا أمل.

قالت سهر بكل فخر وثقة:

- قلت لك يا سيدي، إنه جدير بكونه مثلنا.

عاد مكرب لينظر إليه قائلًا:

- هل تعلم من تود مقابلته؟ هل تعلم ما ستكلف به بعد حصولك على رضاه وتكون من ضمن أوليائه؟

لم يتردد ظافر لحظة قائلًا:

- أعلم وكم كنت أنتظر هذا اليوم بفارغ الصبر.

ابتسم مكرب بوجهه القبيح قائلًا:

- أعتقد أن وجودك سيكون له أهمية كبيرة بيننا، حسنًا ظافر غدًا ليلًا قبل الثانية عشر سيكون موعدنا في مجلسنا الخاص في منتصف (الربع الخالي) وإذا لم تأتِ، سيكون مصيرك الهلاك لا محالة، فجنودي غير المرئيين في كل بقاع العالم.

- لا يكون لديك أدنى شك يا سيدي، سأكون في الموعد وسأثبت لك جديتي، وولائي التام.

- حسنًا ظافر سنرى، لترحل الآن.

رحل ظافر ولكن توقف قليلًا ليتجسس مرة أخرى عليهما.

نظر مكرب إلى سهر وقال:

- أين شاهين؟

- يستلقي على فراشه حاملًا الهم على عاتق صدره.

امتعض وجه مكرب وسألها:

- بسبب بتول؟

- نعم يا أخي، ذهب عقله وذاب بها عشقًا، لولا حبه لها لاكتمل كل شيءٍ كما خططنا له.

- أنتِ غبيةٌ مثله، لقد أمرتك بجعلها تفر حتى تصل إلى الربع الخالي وأن يصمد رمح معها حتى يصل أتباعي.

- وأنا فعلت ما أمرتني به بالضبط وألقيت التعويذة على رمح حتى يركض إلى المكان المشار إليه ولكنّ شيئًا ما حدث أفسد خطتنا.....

- أتباعي لم يستطيعوا رؤيتها، وحاولت تتبعها بشكل عقلي من خلال الماء السوداء ولكن شيئًا يحجبها عنا ويجعلنا لا نراها، سهر، لم يتبقَّ سوى أيام والأيام ستصبح ساعات... إذا لم أعثر على تيماء أولًا، سيموت كل ما سعينا من أجله كل تلك السنوات...

- أخي إن هروب تيماء أيضًا غير منطقي، كيف استطاعت ذلك؟ كيف تخطت بوابة الظلام ومرت من خلال الأطياف السبعة وحلت وثاقها الفولاذي، كيف؟

- إنها غير عادية يا سهر، لديها بعض من قوته وأسراره، وهذا ما نخشاه، كنا نحجم قواها كل تلك السنوات، ولكن إفلاتها من بين أيدينا يجعلنا في خطرٍ ويجب أن تعود.

- لا تقلق؛ (بعلزبول) لن يتركها هي والماكرة (بتــول).

- حسنًا سأرحل الآن، عليّ تجهيز اجتماع الغد، أما عن شاهين، سيقدم كقربان في اليوم المنشود مع حبيبة قلبه، دعيه كما هو ولا تثيري شكه ولا تعطيه أي اهتمام ونتمنى أن يعثر قبلنا على بتول لننقض عليهما في آنٍ واحد.

صعد ظافر مسرعًا لأعلى وكاد التفكير يفجر رأسه بسبب كل ما سمعه وبسبب قصة بتول من البداية وقرر ضرورة الذهاب لكبير كهنة الكهف الأبيض ليشير عليه قبل أن يذهب إلى منتصف الربع الخالي غدًا ليلًا ويسأله عن تيماء. قال لسهر إنه سيرحل حاملًا البشارة لأصدقائه وأنهم سيتبعونه قريبًا، فلم تشك به للحظة وتركته على أن يأتي ليلًا ليرتاح.

دخل ظافر على الكاهن بسطام فنظر له بقلقٍ قائلًا:

- ماذا بك يا ظافر؟ لقد أتيت بالتأكيد بأمرٍ مهم.

يلتقط ظافر أنفاسه قليلًا، وقدم له الكاهن كوبًا من الماء وبعض الطعام وجلس ليسمعه.

- حسنا أبي، أقصد سيدي..

ضحك الكاهن قائلًا:

- لا بأس يا بني، أحببت سماعها منك، فلم أسمعها منذ أعوام، حسنًا ما بك؟

- لقد علمت أشياء لم تأتِ بخاطري أبدًا، بتول في ورطةٍ كبيرةٍ واللغز الذي كنت تبحث عنه بخصوص الوشم المرسوم على ذقن بتول وجدت تفسيره.....

حكى له كل ما سمعه بين سهر ومكرب وانتظر رأيه.

صمت الكاهن والد ظافر لحظات مصدومًا مما سمعه ثم قال:

- أنت الآن في خطرٍ ولكن عليك بالمضي في طريقك وحضور ذلك الاجتماع، لا تخشَ شيئًا سأحضّر ترياقًا تشربه قبل دخول الاجتماع سيحصنك ولن يستطيعوا قراءة أفكارك، وافقهم على تعليماتهم بل وأيضًا ردد ما يقولونه لا تخف... الإيمان في القلب ثابتٌ يا بني، ومن كان إيمانه بالله ثابتًا لا يخشى الخلق أيًّا كانوا، فلا يخشى الإنس.. ولا الشياطين.. ولا الجن.. عند انتهائك عد إليّ سريعًا؛ لأعرف كل ما حدث... وأعيذك من كل شيطانٍ وهامة.

*****

خفايا الماضي

عاد ظافر إلى القصر ليلًا.. حاملًا بيده الترياق، محاولًا طمأنة قلبه بأن كل شيء سيمر بسلام، دخل غرفة خاصة به بجوار باب القصر وكان على ثقةٍ أن سهر لن تأتي إليه في حضور شاهين.

جلس في فراشه محاولًا أن يغفو قليلًا ولكن القلق وكثرة التفكير كان يطارد عقله بقسوة، حدث نفسه قائلًا:

(نم لعل النوم يأخذك إلى ما تشتهيه، بعيدًا عن مرارة الواقع... فمهما كان قدري مؤلمًا، يبقى أملي في حلمٍ جميلٍ بأن القادم سيصبح أجمل ما دام القلب مطمئنًا يحسن الظن بربه الكريم).

بعد صراعٍ دام للحظات مع عقله غفت عيناه قليلًا ليستيقظ على صوت صرير الباب وصوت أقدام تسير بخفة بجواره... فالتفت في فزعٍ قائلًا:

- سهر! ماذا تفعلين؟ وزوجك.....

لتقاطعه ضربةٌ قويةٌ بعصًا خشبية تهوي على رأسه فيسقط من فوق فراشه ممسكًا بها؛ فلم تكُن العصا كبيرةً حتى تستطيع إيذاءه..

- أتريد قتلي أيها المخادع... دعني.. دعني... سأقتلك أنا الآن....."

قيدها ظافر وهي تقول تلك الكلمات محاولةً الإفلات من بين يديه...، ثم رفعت شعرها من على وجهها فصرخ ظافر ولمعت عيناه قائلا:

- بتـــــول!.... أيعقل؟!..... بتول أنتِ.....

قاطعته بضربةٍ أخرى فأمسك بها بكلتا يديه قائلًا:

- هاهاهاها..... إهدئي يا صاحبة اليد الضعيفة.. اضربي بقوة وبشيء حاد بعد ذلك..

صرخت بتول:

- اتركني أيها المخادع.. سأنتقم منك.. بل منكم جميعًا.. تعمل لدى شاهين، وسيدة القصر جعلتك تتبعني لتقتلني.. ظننتها هي أيضًا تساعدني ولكن الجميع ضدي.. لم يعد أحد معي.. الجميع كالذئاب يتربصون لي.... دعني... سأقتلكم.

ضحك ظافر مرة أخرى وكاد يطير من السعادة عند رؤيتها سالمة أمامه، فكم كان مشتاقًا لهذا اللقاء -ولكن ليس على هذا النحو-.. لكن لا بأس.. المهم أنها بين يديه الآن.

أدارها بكلتا يديه لتصبح مواجهةً له ممسكًا بها من كتفها بقوة حتى لا تتحرك، أخذت تصرخ في وجهه:

- دعني.. لترى ماذا ستفعل تلك الفتاة الضعيفة بكم.

نظر ظافر إلى عينيها نظرة المشتاق إلى حبيبه العائد بعد غيابٍ طويل، كاد أن يضمها لصدره بقوةٍ، ولكنه يخشى من غضبها.

همس في أذنها وهو يستنشق عبيرها الذي افتقده:

- صـهٍ..... بتول اهدئي قليلًا حتى لا يسمعكِ أحدهم ويقبضون عليكِ.. فالجميع يبحث عنكِ.

ضحكت بتول بسخريةٍ:

- حيلة جديدة أيها الفارس... وكأنك تخشى عليّ.. أم تريد تسليمي بيديك؟!

- لماذا عدتِ إلى هنا؟! ألا تعلمين بالخطر الذي يحاصركِ؟! لستِ بأمانٍ هنا يا بتول... هيا معي بسرعة.

جذبها من يدها خارج القصر وكانت تحاول الفرار منه ولكنه أحكم قبضته عليها. صعد بها على ظهر فرسه وركض مبتعدًا عن القصر حتى وصل إلى مكانٍ ليس به أحد، وسط أشجار يستطيع التخفي بينها.

كانت بتول مندهشةً لرد فعله هذا... فكيف يعمل لديهم!!... وفي الوقت نفسه يبعدها!

- لا أفهم ما تنوي فعله... لكن لا أثق بك أبدًا.. فمن حاول قتلي بالطبع هو عدوي الأول.

- اجلسي هنا يا بتول... واطمئني.. أقسم أنني لستُ كما تظنين... سأخبركِ بكل شيء ولكن اهدئي قليلًا حتى أستطيع توضيح ما حدث.

جلست بتول ونظرت إليه بغضبٍ وتأففت قائلةً:

- حسنًا... لن أخسر شيئًا إذا أصغيت لحيلك الجديدة.. لكن لا تطِل عليّ بحديثك، ليس لدي وقتٌ كافٍ للثرثرة معك.

ضحك ظافر بقوةٍ:

- هاهاهاها.... أنا الثرثار الآن؟

- ماذا تقصد؟!

- هاهاهاها... لا شيء.. معكِ حق... حمدًا لله أنكِ أمام عينيّ وبخير، قبل أن يستطيع أحدهم إلقاء القبض عليكِ.

- ظـافر، بات صبري ينفد... ماذا تريد؟

- بتول.. لا أخفي عليكِ أنني كنت أنوي قتلكِ في بداية الأمر، ولكن هذا خارج إرادتي، فكنت موكلًا بفعل هذا.

قاطعته مرة أخرى:

- موكل من قبل سهر.. صحيح!

- لا... من أبي..

اندهشت بتول:

- والدك؟!.. كيف؟!.. ولماذا؟!.. ومن هو؟!

- هو كبير كهنة الكهف الأبيض.

- كبير كهنة؟!.... ولماذا أراد الخلاص مني؟!

- إن أغلقتِ فمك سأشرح لكِ كل شيء سريعًا وأجيب على كل سؤالٍ يدور بخاطرك، لكن دون أن تتفوهي.

- حسنا.. سأصمت..

وضعت يديها على فمها.. فضحك ظافر على طريقتها الطفولية قائلًا:

- لا أميرتي.. لا تصمتي.. أعشق مشاكستك وكثرة كلامك..

- ظافر أتهزأ بي؟

- "هاهاهاها.. أبدًا.. حسنًا أنصتي..

النبوءة تقول إن في هذا اليوم (اليوم الذي فررتِ بحصانك ووقعتِ في الصحراء)، كنت أعلم بوجودك هناك وأرسلني أبي للعثور على فتاةٍ سأجدها وحيدةً في الصحراء وعندما أتأكد من كونها هي، أقتلها، ولكن تحت طقوسٍ معينةٍ كنت أنوي فعلها.. وتأكدت من ذلك حين رأيتك تصارعين (الورل) فكيف لفتاةٍ ضعيفةٍ لا تقوى على الضرب بعصا على الرأس هاهاهاها... أن تهاجم ورل وتقتله وتأكل لحمه نيئًا".

ضحكت بتول بصوتٍ عالٍ ساخرةً من قول ظافر:

- أنا!!.... أنا أصارع ورل وأقوم بقطع لحمه وأكله نيئًا.. هل جننت؟!.. كنت أتضور جوعًا ولكن ليس لهذا الحد.

فتح ظافر فمه متعجبًا وقال:

- بتول، لقد حدث كل هذا.. ألا تتذكرين؟!!

صرخت بتول:

- لا يا ظافر لم يحدث.. أتذكر جيدًا.. لقد طلبت مني النوم قليلًا في تلك الصحراء اللعينة ليلًا، وما إن وضعتَ رأسكَ على جعبتك أيها الخمول غلبك النوم على الفور وشخيرك أيقظ مخلوقات الصحراء والجان.

ضحك ظافر وطلب منها الاستمرار في الحديث.

- شعرت بالخوف الشديد وأنا أجلس بجوارك وحيدة وسمعت أصواتًا غريبة مختلطة.. كانت ذئابًا تعوي وحشراتٍ تصفر وكياناتٍ تزمجر.. ارتجفتُ وقمت بضربك بيدي حتى تستيقظ من غيبوبتك تلك ولكن دون جدوى.. انكمشتُ في نفسي واقتربتُ منك ونمت ملتصقةً بجسدك لعلني أطمأن قليلًا بوجودي بجوارك.. ظللت أرتجف حتى غلبني النعاس ولم أشعر بنفسي.. فصحوت على ضربةٍ قويةٍ منك على رأسي ولم أشعر بما حدث بعدها فوجدتني في كوخٍ لامرأة عجوزٍ اسمها باهلة.

زادت دهشة ظافر وقال:

- باهلة؟! المرأة العجوز القاطنة في طرف المدينة.

- نعم هي..

- بتول.. حقًّا هذا ما حدث؟!... أنتِ لم تصارعي ورل الصحراء ولم.....

قاطعته بتول بغضبٍ:

- أقسم أنني لا أقول سوى الحق وهذا ما حدث.

- حسنًا.. لا تغضبي.. اعذريني... الآن بدأتُ في استيعاب شيءٍ ما... لقد قمتِ بفتح أول صندوق..

- صندوق ماذا؟؟

- ستعرفين كل شيء... ولكن ما سبب عودتك للقصر؟

- باهلة طلبت مني ذلك، للبحث عن شيءٍ ما يرشدني إلى مصيري.

- ما هو هذا الشيء؟

- لا أدري هل ما حكته حقيقة أم مجرد تخاريف.

- بتول.... باهلة امرأةٌ حكيمةٌ لا تقول خرافات... ماذا قالت؟ أكملي؟

- قالت إنه يجب عليّ العودة لمسقط رأسي للبحث عن الرمح قبل أن أتم الحادية والعشرين وأعود به للبؤرة السوداء حتى يحضر الموت وتصيح الأفاعي.. فمن هذا العاقل الذي يصغي لتلك الأقاويل؟!

لمعت عين ظافر وابتسم قائلًا:

- بتول.. باهلة معها حق.. هناك رمحٌ يجب عليكِ العثور عليه بأي ثمن، هو سر نجاتك بل نجاتنا جميعًا..

- يا ألله.. سأسمع ألغازًا مرة أخرى.

أمسكها ظافر من كتفها لتنتبه إليه قائلًا:

- بتول... لقد جئتِ الحياة برسالةٍ عظيمةٍ يجب عليكِ إتمامها ولا تخافي، أنا معكِ ولن أجعل أي شيء يؤذيكِ، أيقنت الحقيقة، وأنك بريئةٌ من ظني، وكنت سأرتكب جرمًا عظيمًا لو قتلتك في هذا اليوم.. لكن بعث الله لكِ مَن نجاكِ.

- من؟ سألتُ باهلة كثيرًا دون أن أجد إجابة.. من هم؟

- هم كيانٌ خفي، حارسو روحكِ المؤمنة.. هم من ينتظرونك لتحقيق النصر، وحينما رأوا مكروهًا قد يداهمكِ قاموا باختطافك وإرسالك لصديقتهم المخلصة باهلة.

صرخت بتول:

- ظاااافر، لا أفهم شيئًا مما تقول وعدت للقصر حتى أفهم..

- بتول، ليس القصر هو مسقط رأسك.... مسقط رأسك هو منزل والدك طاهر..

فتحت بتول فمها ثم قالت:

- لكن أنا لا أتذكره ولا أعرف أين هو.... وباعه شاهين منذ أعوام واستولى على النقود والذهب و.....

قاطعها ظافر...

- استولى على الذهب فقط ولم يفرط فيه.. لأن هناك شيئًا عظيمًا في هذا المنزل بحث عنه كثيرًا دون جدوى.. فكان يخشى أن يقوم بشرائه أي شخص ويعثر هو عليه أو يكشف أي سر.

- وما هو هذا الشيء العظيم؟؟

- الرمح يا بتول.. الرمح الذي أرسلتكِ باهلة لأجله.

صمت ظافر قليلًا ثم أخرج شيئًا ما من داخل قميصه.

- خذي يا بتول..

- ما هذا؟

- كل الأوراق الخاصة بممتلكات والدك وأيضًا ستجدين عنوان منزلك مدونًا بها.

ابتسمت بتول وما إن كادت تتحدث حتى قاطعها.

- لقد سرقته من قصر شاهين.. أصبحت سارقًا لأجلك.. وما عدتُ إلى هناك إلا لأجلك.

ابتسمت بتول لأول مرة في وجهه قائلةً:

- ولماذا عدت.. أوامر أخرى من والدك صحيح؟!

- لا أنكر أن والدي طلب مني العثور عليكِ، لكن هدفي الأسمى حمايتك من أي مكروهٍ قد يلحق بكِ، كم شعرت بالسعادة عندما علمت ببراءتك وبعدما كنت مطَالبًا بقتلك، الآن مطَالب بحمايتك.. هناك شيء آخر يربطني بكِ.. ولن أفرط فيه.

- ظافر، ولكنني لستُ قوية بالقدر الكافي لأفعل كل ذلك وحدي....

أمسك ظافر بكلتا يديها وطبع قبلةً عليهما ثم نظر إليها قائلًا:

(لستِ وحيدة، فأنا معكِ.. والقوة تكمن بداخلك.. القوة في قلبك مهما تهشم ما زال يُعطي).

دمعت عينا بتول قائلةً:

- تقول إنك معي، إذًا هيا نذهب إلى منزل أبي ونبحث معًا.

قال ظافر في حزن:

- لن أستطيع... لديّ أمرٌ مهم عليّ القيام به غدًا.. لكن لا تخافي سأكون معكِ بروحي..

صاحت بتول:

- لا يكفي يا ظافر.. لا يكفي... كيف تحبني وتخشى عليّ من الأذى وتتركني وحيدة لا أفهم شيئًا مما يحدث؟!

نظر إليها بحبٍّ وحنان:

- بتول.. لن أكرر كلامي ولن أُقسم مرارًا لأثبت لكِ حقيقة شعوري.... الكلمات الصادقة لا تُحكى، فقط يشعر المحِب بها والمشاعر الصادقة لا توصف، بل يراها المحِب في الأفعال، يُقال: إن من يحبك حقًا، يهتم بك ليطمئن قلبه أنك بخير وليس ليشعرك بأنه يهتم بك، أتمنى أن تفهميني وتشعري بي... ماضيكِ وضعكِ في بؤرة مخاطر.. ومضطرة لتكملة مسيرة ليس لكِ ذنب بها.

- حسنًا ظافر، اذهب معي الآن..

- لن أستطيع بتول، سهر ستشك بأمري إذا لم تجدني في القصر.

اندهشت بتول:

- سهر!!... وكيف لها أن تعرف وتشعر بعدم وجودك، الجميع نائمٌ في هذا الوقت وما أنت سوى حارس يبيت في غرفة بالخارج.

- ليس الموضوع على هذا النحو يا بتول، لقد وقعتْ سهر في غرامي وتريد مني أن أكون في مكانة شاهين، وتنوي التخلص منه.

صاحت بتول بغضب:

- الآن فهمت، طمعتَ في السلطة والتجارة ووقعت في شباك سهر ولا تنوي التخلي عن أي منها لأجلي، أنت كاذبٌ يا ظافر، كـاذب و.....

قاطعها ظافرٌ بقبلةٍ على شفتيها ثم قال بحنان:

- افهمي يا حبيبتي، كل شيء مخطط له، يعلمون أنكِ المخلّص من البداية، منذ لحظة ولادتك، عندما ذهب والدك إلى باهلة خوفًا عليكِ من اللعنة نظرًا ليوم مولدك وأنكِ مرتبطة بنَسْل عبدول الحظرد، كان يخشى عليكِ ويريد حمايتك فذهب إليها و....

قاطعته بتول بدهشة:

- كيف علمت بيوم مولدي وتلك اللعنة!!

- أسباب كثيرة، معرفة أبي كبير الكهنة، رأيت ذاك الوشم في كُتيبٍ قديم لديه، انظري، جعلني أحتفظ به حتى يأتي الموعد المنشود وأساعدك وقتها.

فتحه ظافر على تلك الرسمة والطلاسم..

- يا إلهي إنه هو ذاك الوشم على ذقني، ومذكور أنني المنقذ الذي سيخلص البشرية من بعلزبول والساحر المجنون!... انتظر.... سأقتل جدي بنفسي؟!!

- بتول أنه ليس جدك.. إنه شيطان طاغٍ سيحرقنا جميعًا.

- أين هو لأذهب إليه؟!

- هذا ما سأعرفه غدًا، ولكن هل سمعتِ اسم (تيماء) من قبل؟

- لا... لم أسمع به... من تكون؟

ارتبك ظافر وصمت قليلًا ثم قال:

- لا عليكِ.. سأجدها.. لقد سمعت سهر و"مكرب" يتحدثان عنها وهي من ستخرج "عبدول" إلى النور، ثم تعيدينه أنتِ إلى الجحيم للأبد.

- ظافر أرجوك لا أفهم شيئًا مما تقول.

- ماضيكِ يطاردك يا بتول، اصغي لما سمعتِه جيدًا لتتضح بعض الأمور كما أخبرتكِ باهلة أن "طاهر" هو ابن عبدول الوحيد، فعندما تزوج جدتك لم يمكث معها طويلًا وانقلب العهد عليه وقام بعلزبول بنفيه ولكن أهل القرية يرددون قصصًا أخرى بشأن اختفائه وأنه عندما تحدى كبار الجان سلطوا وحشًا كبيرًا عليه والتهمه أمام الجميع ومات... لكنه ما زال حيًّا في مكانٍ ما لا يعرفه سوى بعلزبول.... النبوءة تقول إنه من الممكن تجديد العهد مع الشيطان

والتصالح مع الجان إذا جاء أحد نسله وتلا الطلاسم بصوته في مكان اجتماع الشيطان بأتباعه وأنتِ نسله، ولكن النبوءة في الكتيب معكِ تقول إن المخلص صاحب وشم الشمس الأحمر سيقتله ويمحوه للأبد بالرمح الكبير والرمح هذا.....

قاطعته بتول:

- الرمح كما قالت باهلة عليّ البحث عنه لأُتم المهمة الموكلة لي...لكن... لماذا أعيده، ثم أقتله بعدها.

صمت ظافر وارتبك مرة أخرى:

- لن تعيديه أنتِ، تيماء هي المخول إليها بفعل ذلك ويجب أن تكوني حاضرة في نفس الموعد.

- مَن تيماء التي تردد اسمها!!.... وبالتأكيد سأقتلها هي الأخرى... ولكن انتظر.. شاهين يساعد "مكرب" خادم الشيطان، وسهر تكون أخته الوحيدة.. أليس كذلك؟

- نعم هو كذلك.

- حسنا السؤال الذي يطرح نفسه الآن... لماذا لم يقوموا بقتلي بعد وفاة أبي وأمي إذا كانوا يعلمون بأمر النبوءة، لمَ صبروا كل هذا وقامت سهر بمساعدتي على الهروب؟!!

- من قتل والديك هو شاهين والأفعى زوجته بأمرٍ من مكرب واستولى بعدها على كل شيء، بحث عن الرمح في كل مكان ولكن دون جدوى، من الواضح أن جدتك تركته إرثًا لأبيكِ فكانت تريد

حمايته من الشيطان والجن وتعلم أنه الطريقة الوحيدة للقضاء على زوجها الساحر المجنون، واضحٌ أنها لم تكن تحبه وتزوجته رغمًا عنها خوفًا منه...

قاطعته بتول مرة أخرى:

- لا يا ظافر ليست جدتي هي من عثرت على الرمح.. إنها الكاهنة القديمة "خنساء" لقد أخبرتني باهلة بذلك...

- حسنًا بتول هذا أمرٌ عظيمٌ والأمور باتت تتضح، وبخصوص الرمح لقد سمعتهم يقولون إنه كان يجب عليهم حمايتك وتربيتك حتى يعثروا على الرمح ليكون بحوزة مكرب ليهدد به عبدول ويسخره بعلمه وسحره لخدمته ويجب أن يقوموا بتقديمك قربانًا للشيطان في اليوم المنشود الذي يعود فيه عبدول... سأبسطها لكِ.. نوع من المقايضة لإرضاء غضب الشيطان، فبدل أن يكون ثمن ما فعله عبدول هو حياته يتركه هو ويأخذ حياتك بالمقابل.

- نــعم فهمت الآن ولكن الإجابة غير مكتملة.. لماذا ساعدتني سهر على الهروب؟

- لأن "شاهين" وقع في حبك.. ورفض تسليمك في اليوم المحدد للشيطان وأراد الاحتفاظ بكِ لنفسه، فانقلب الجميع عليه وهو من سيقدم قربانًا أيضًا في ذاك اليوم، وقتها أرادت سهر إبعادك عن القصر دون أن يشعر بالمخطط الجديد، واتفقت مع مكرب على ذلك، وألقت على الفرس رمح تعويذة تأخذك إلى الربع الخالي حيث ينتظرك أعوان مكرب ويقومون بخطفك وقتها دون أن يشك

شاهين ويقوم بإفساد كل ما سعوْا إليه في تلك الأعوام ولكن شاء القدر أن يحميكِ منهم ويضع حجابًا بينك وبينهم، في نفس التوقيت أُمرت أنا بالعثور عليكِ كنت لا أعلم بحقيقة أمرك وظننا أنكِ الشيطان الصغير لنسل عبدول ولهذا حاولتُ إنهاء الأمر ليحجبك القدر عني أنا أيضًا وتبتعدي كل هذا الوقت لتذهبي في يدِ من حمتكِ في الماضي (باهلة).

سقطت الدموع من عين بتول وقالت:

- الآن فهمت كل شيء... جميعهم اتفقوا عليّ، جميعهم اشتركوا في حرماني من أبي وأمي ولم يكتفِ شاهين بذلك، بل يريد الاستيلاء عليّ أنا الأخرى ولكن (تيماء)...!

- لا تسألي عنها الآن، كل شيء بميعاد حبيبتي، أحذرك أن تذهبي إلى القصر ولو من بعيد وحاولي ألا يراكِ أحد وأنتِ في طريقك إلى منزل أبيكِ، ابحثي عن أي دليل أو أي شيء يأخذكِ لمكان الرمح، وحين تجدينه سأجدك أنا وسننهي الأمر معًا.. ولكن كل هذا يجب أن يحدث قبل أن تُتمي الحادية والعشرين، تبقت أيام قليلة، هيا بتول، اذهبي واحترسي فلا يسعني العيش دونك.

- حقًّا يا ظافر!!

- ستثبت لكِ الأيام، هيا أسرعي.

وقفت بتول واستدارت لتكمل طريقها وحيدة... وبعد أن ابتعدت قليلا صاح ظافر وقد ملأت الدموع عينيه:

- بتـــووووول.

عادت مهرولة إليه تلهث وقالت في قلق:

- ماذا هناك؟!.... أنسيتَ إخباري بشيءٍ آخر؟!!

- نعم بتول، نسيت أن أودعك... هل لي بضمك إلى صدري؟ أرجوكِ أحتاج لهذا كي...

وقبل أن يكمل كلماته ألقت بتول بنفسها بين أحضانه وبكت بشدة، ارتجف جسد ظافر ورفع وجهها، ونظر إلى عينيها قائلًا:

- مصيري في الأيام القادمة يعلمه الله وحده، أعود أو لا أعود.. عديني بإكمال ما بدأناه... كوني قوية.

بكت بتول بصوتٍ عالٍ:

- "باهلة وأنت ترددان نفس الجملة: (كوني قوية)

(ترددون بكوني قوية وليس لديكم فكرةٌ عن صعوبة ما أمر به، وعن الخوف الذي استوطن قلبي وكيف تعلمون، فأنا من تقوم القيامة بداخلي، وملامحي لا يظهر عليها سوى الاتزان)

ظافر أنا أضعف مِن مواجهة أي شيء وحدي... أضعف مما تظنون.

ضمها ظافر بشدة ثم أخرج الكتيب من جيبه قائلًا:

- وجوده معي يمثل خطرًا، من الممكن أن يجده أحدهم ويقوم بحرقه، الطلاسم مهمة كالرمح تمامًا، احفظيها وإن لم أكن معكِ عودي لباهلة بالرمح وستخبرك عن المكان الذي ستذهبين إليه...

فهمتِ؟

أومأت بتول برأسها وأخذت الكتاب من بين يده واستدارت راكضةً.. فصاح يردد:

- (إما أن أجدك أو تجديننـي، فما بيـن القلـوب مراسيـل)

صمت قليلًا بعد أن اختفت عن أنظاره ومسح دموعه قائلًا بينه وبين نفسه:

(إلـى مـن أحـب:

أضعـك فـي ودائـع الرحمـن

خوفـًا من أن أعيش يومًا من دونك)

الغريب أن بتول كانت تردد نفس الدعاء له، خوفًا من أن تفقده يومًا ما.

***

عاد ظافر إلى القصر فوجد سهر تقف أمام باب غرفته في قلقٍ وغضب:

- ظافر، أين كنتَ كل هذا الوقت؟!!

ارتبك ظافر ثم قال:

- لقد شعرت ببعض الضيق والتوتر من كثرة التفكير فيما قد يحدث غدًا، آملا ألا أخيب ظنك فيّ، لعل السير قليلًا في هدوء يهدئ من روعي.

ابتسمت سهر وقالت وهي تقترب منه:

- طبيعي ما تمر به، ولكنك الفارس القوي فلا تقلق، وعدني بأنك لن تلمس امرأة غيري..

صمت ظافر وفزع حينما رأى "شاهين" يقف خلفهما ويتنصت عليهما فدفع ظافرٌ سهر بعيدًا، وعندما التفتت للوراء رأت "شاهين" فأطلقت ضحكةً عاليةً قائلةً بسخريةٍ:

-ماذا يا شاهين؟ أحبه ويحبني وسيصبح ذراع مكرب اليمين وأنا أخت مكرب الحاكم القوي، فماذا ستفعل بنا يا..... يا رجل؟ هاهاهاها...

صاح شاهين بغضب:

- أتظنين بأنني أخشى "مكرب" أو كونك أخته..... سوف

أجعلك تنبهرين بما أنوي فعله بكم جميعًا... ولكن ما يمنعني الآن هو العثور على بتول.

ضحكت سهر بصوتٍ عالٍ قائلةً بسخريةٍ:

- ونحن نتركك على قيد الحياة حتى تعثر لنا عليها هاهاها... هيا حبيبي ظافر نم قليلًا وأراك صباحًا قبل أن تسافر حتى ألقاك بعدها.. هيا.

كان ظافر في دهشة من موقف سهر، وشاهين بالأخص.. ظن أنه سيقتلها على الفور ولكن من الواضح أنه يدرك مدى قوة وخبث سهر ومكرب فتركها ورحل، ودخل ظافر غرفته ليرتاح ولكن لم يهنأ بالراحة لانشغاله على بتول وما ستفعله وحيدة.

***

ظلت بتول ليلًا تبحث عن عنوان منزلها قديمًا، سارت كثيرًا حتى أُنهكت قواها وجلست بجوار شجرةٍ ضخمةٍ تبكي على حالها وعلى مصيرها الذي لا تعلم إلى أين سيهوي بها، ثم تذكرت شيئًا ما وحدثت نفسها: "تلك الشجرة.. تشبه كثيرًا الشجرة التي كنت ألعب عندها في صغري.. كانت أمي تعقد بها حبلًا وصنعت لي أرجوحةً صغيرةً كنت أستمتع بالتأرجح عليها وخصوصًا في الصيف تحت ظلها، يا إلهي.. إنها هي.. لكن أين المنزل؟ فهذا المنزل أمامها لا يشبهه.. أم أنني لا أتذكر".

وقفت بتول ثم توجهت إلى المنزل أمام الشجرة، فكان يحاوطه سورٌ كبيرٌ يخفي معالمه... العشب والأشجار القصيرة تنتشر حوله فيحجب الرؤية عن باب المنزل.. فوضعت عددًا من الحجارة الضخمة فوق بعضها البعض ووقفت عليها لترى أي شيءٍ يدلها...

"إنه هو... ما زلت أتذكر أوصافه رغم صغر سني وقتها.. بالتأكيد شاهين هو من بنى هذا السور حوله حتى لا يراه أو يدخله أحدهم".

وقفت قليلًا لتتأكد من عدم وجود أحدهم بالداخل.. كان معتمًا وعتيقًا وتحولت شكل أحجاره للون الأسود، والأشجار حوله باتت مجرد فروعٍ سقطت من عليها الأوراق منذ زمن.

حاولتْ التسلل للداخل وتسلقت على السور بعد عدة محاولات فاشلة حتى أن ثوبها تمزق من فروع الأشجار الحادة.

ارتجفتْ بتول وكانت تسير بخطواتٍ بطيئةٍ مترددةً والدموع تنهال على وجنتيها من شوقها للمنزل ولوالديها...

"(أمي... أبي... ليتكما هنا.. ليتكما تنزعان مني كل هذا الخوف وأغفو للحظات بين أحضانكما حتى أشعر بالراحة والأمان)

حاولت فتح الباب ولكنه كان موصدًا بشدة وكأنه لم يقترب منه أحدٌ منذ سنوات..

تذكرت باب غرفة الطعام من الخلف.. فكانت تتسلل منه دون أن تشعر والدتها لتلعب مع أبناء الجيران فكان والدها حريصًا على عدم اختلاطها بأي شخص منهم وكان يخفيها عن العيون نظرًا لشدة جمالها والخطر الذي كان يحاوطها.

كان باب غرفة الطعام موصدًا بشدة أيضا.. فأمسكت بعصا سميكة وكسرت زجاجه ومدت يدها بالداخل لتفتحه.. وأخيرًا تحرك معها مُصدرًا صريرًا عاليًا، نظرت حولها لتتأكد من ألا يراها أحدهم.. ثم بخطوات مرتجفة بدأت بالسير داخله ولكن الظلام دامسٌ ورائحة التراب تكاد تحبس أنفاسها... تحسست بيدها المصابيح الموجودة علّها تجد بعض الكيروسين في أحدها وأخيرًا وجدت واحدًا منها ما زال منتصفه ممتلئًا وكان بجواره أعواد ثقاب.

ابتسمت بتول: (أتذكرُ يا أمي، كنتِ تقومين بوضع علبة من الثقاب بجوار كل مصباح حتى لا تبحثين في كل مرة عليه)

حاولتْ إشعال أعواد كثيرة ولكن الرطوبة قضت عليها... يئست بتول وأمسكت بآخر عود وأغمضت عينها وهي تشعله وفجأة اشتعل العود.. أسرعت بإشعال المصباح ووجدت بعض الشموع أشعلتها هي الأخرى وظهرت أمامها تفاصيل منزلها كاملة.

"هنا ركضتُ وهنا تعثرتُ.. وهنا احتضنت أمي وداعبتني بكلتا يديها بحنان، وهنا.. حملني والدي وأنا أبكي عندما جُرِحت في قدمي وحاول تضميد جرحي وهو يبتسم".

بكت بشدة ثم تذكرت ما أتت لأجله وأسرعت تبحث بين الأرفف والأتربة عن أي شيء دون جدوى.

بعد ساعاتٍ من البحث جلست بتول على أريكة أكلت معظمها الفئران ووضعت رأسها بين يديها تبكي وتفكر.

(أبي... أين أخفيت هذا الرمح.. لا يوجد ثقب بالمنزل إلا وبحثتُ فيه.. دلني يا ألله فلقد تعبت ولا أقوى على فعل شيء)

سأخرج الآن من هنا، حاملة خيبتي ولأواصل البحث في مكانٍ آخر، فمن الممكن أن يكون هناك مخبأ ما حول المنزل، أو أن يكون أبي دفنه في مكانٍ ما، يا ألله ليس لدي قوة لحفر الأرض والتنقيب عن ذاك الرمح.

نهضت بتول ثم نظرت إلى الدرج قائلة: "اشتقت لغرفتي الصغيرة بشدة، سألقي نظرة أخيرة عليها قبل أن أغادر".

صعدت بتول للأعلى ودخلت غرفتها مرة أخرى.. كانت فارغة تمامًا وليس بها سوى خزانة ملابس محطمة وفارغة وفراشها الممتلئ بالغبار، دمعت عيناها وقالت بحزن: "حتى الآن أتذكر القصص الجميلة التي كنت ترويها لي يا أبي، حتى إنني أتذكر دفتر رسوماتي، تُرى أين ذهب؟! كانت أمي تضعه في صندوقٍ خشبي صغير مع بقية لعبي وعرائسي التي صنعتها أمي لي من القماش".

جثت بتول على ركبتيها ونظرت أسفل الفراش، ابتهجت عيناها حينما رأت الصندوق الخشبي الصغير ونفضت بعض الأتربة وخيوط العنكبوت من عليه ثم قالت: "الحمد لله أنه مغلق بإحكام، فلولا ذلك كانت التهمته الفئران هو الآخر".

فتحته بتول ولمعت عيناها بالدموع حينما رأت دفتر رسوماتها الصغير وعرائسها، وقامت بلهفة بفتح الدفتر وتذكرت والدها وهو يساعدها في رسم وتلوين لوحاتها الصغيرة.

صفحة بها أشجار وزهور مزينة والأخرى بها طيور جميلة، وفي الأعلى قرص للشمس لونه والدها معها باللون الأحمر.

تنهدت بتول ثم شردت للحظة محدثة نفسها: " كان أبي يحب رسم قرص الشمس وتلوينه بالأحمر، حتى يصبح مثل الوشم المرسوم على ذقني".

فتحت بتول باقي الصفحات التي كان يساعدها في رسمها، ثم لاحظت شيئًا غريبًا، حيث تكرر رسم جزء من كوخ صغير بين الأشجار مع قرص الشمس الأحمر ورسم فتاة صغيرة خلف الكوخ وكأنها هي.

حدثت بتول نفسها بدهشة: "لماذا كررت تلك الرسومات في كل صفحة؟! وتلك الفتاة الصغيرة التي تشبهني؟ لماذا تقف دائمًا خلف الكوخ؟!".

انتفضت بتول فجأة عندما سمعت أصوات الفئران حولها وشعرت بالذعر، فقامت مسرعة إلى الخارج حاملة بين أحضانها دفتر الرسومات وواحدة من عرائسها المفضلة.

في أثناء ذلك جلست سهر مع شاهين تمشط شعرها في غرفتها وكان ينظر إليها بضيق وغضب. فجأة هبت ريح قوية داخل الغرفة هزت أركانها، فنظرا إلى بعضهما بعضا في دهشة وقالا في آنٍ واحد: (أتى ظـام)!!

- (ظـــــــام):

اسم يطلق على أحد خدام الجن السفلي، وهو عون شديد من أعوان الملك (ميمـــــون ابانـــــوخ) ويقال إنه كان من المتمردين العصاة في عهد النبي (سليمان) عليه السلام.

قام كل من شاهين وسهر بتسخيره لخدمتهما وحراسة منزل (طاهر عبدول) وإخبارهما بأي جديد قد يحدث هناك.

كان يشبه القرد الأسود، أكبر حجمًا من الإنسان، ذا عين حمراء داكنة تُصدر ضوءًا أحمر اللون.

انتفض شاهين من فراشه ليقف أمامه، وسارت سهر بخطوات مسرعة ووقفت بجوار شاهين.

قال شاهين في قلق وحيرة:

- (ظام) لم نرَك منذ سنوات، أهناك شيء جديد حدث في منزل طاهر؟!

تحدث (ظام) بصوت أجش غليظ:

- نعم سيدي حدث جديد وجئت أخبرك به.

قالت سهر متلهفة لسماع الخبر:

- وأخيرًا..... قل.. ماذا هناك يا (ظام)؟!

لقد أتى أحدهم إلى المنزل، ولكن لا أعرف من هو، فلا أستطيع دخول المنزل كما تعلم بسبب تلك التعويذة التي تحميه من الجن.

(قديمًا.. قام طاهر بتحصين المنزل حيث لجأ إلى أحد الكهنة وقام بتلاوة تعويذة وبعدها سكب سائلًا حوله في كل مكان حتى يمنع دخول الجن، لحماية عائلته).

ارتدى شاهين ملابسه بسرعة وركض تجاه باب القصر -وأسرعت سهر خلفه- قائلًا بحدة:

- يا حــراس... أين أنتم.

أجابته سهر:

- هل نسيت يا شاهين؛ لقد أرسلت الجميع للبحث عن بتول.

- نعم نسيت، ولكن لم يذهب فارسك المحبوب ظافر.. ليأتِ معنا.. فلا نعلم من اقتحم المنزل... من الممكن أن يكون أحد اللصوص ويهاجمنا.

توجه شاهين إلى غرفة ظافر وصاح وهو يطرق الباب بشدة:

- هيا استيقظ أيها الكسول الذي لا منفعة منه.

انتفض ظافر من فراشه مفزوعًا وفتح الباب... ثم نظر إليهما بدهشة.. صاح شاهين:

- هيا أحضر سيفك وتعالَ معنا.

تعجب ظافر ونظر إلى سهر متسائلًا:

- إلى أين؟.... علي أن أرتاح قليلا كما تعلمين.

صرخ شاهين:

- عليك أن تطيع أوامري دون أن تسأل.. هياااااااااا.....

حمل ظافر سيفه وامتطى كل منهم حصانه مسرعين إلى منزل طاهر.

الظلام دامس والهدوء يطغى على المكان.

أخرج شاهين مجموعة من المفاتيح القديمة وفتح باب المنزل ثم نظر إلى ظافر قائلا:

- أنت..... تقدم أمامنا.. وإذا هاجمك أحد اللصوص فاقتله.

نظرت سهر إلى شاهين بغضب.. ثم قالت لظافر بخوف:

- توخَّ الحذر يا ظافر.. إياك أن يصيبك مكروه.

سار ظافر أمامهم بخطوات بطيئة، ينظر هنا وهناك بحرص.

كان المصباح مشتعلًا وبعض الشموع في كل ركن بالمنزل.

همست سهر:

- هناك أحد ما، ما زالت الشموع مشتعلة منذ لحظات.

قال شاهين متعجبًا مما يحدث:

- مَن سيأتي إلى منزل (طاهر عبدول) الآن؟ وإن كان لصًّا.. فماذا سيسرق؟ المنزل عبارة عن كومة عتيقة من النفايات والأثاث القديم

الذي لا منفعة له.

فتح ظافر فمه عندما علم بأنه في منزل بتول وأدرك أنها بالداخل. قال في توتر:

- أنا لا أرى أحدًا هنا.. من الواضح أن لصًّا دخل المكان على أمل العثور على شيء له قيمة وخرج دون جدوى.

أومأت سهر برأسها:

- نعم يا ظافر، معك حق.. هيا لنرحل.

صاح شاهين:

- لن نرحل قبل أن نتأكد من كل ركن به... هيا أيها الحارس الكسول، أم تشعر بالخوف؟

أخذوا يبحثون في جميع أركان المنزل.. لكن لم يعثروا على أي شخص. اطمأن قلب ظافر أن حبيبته قد رحلت وفرت من المنزل قبل حضورهم بلحظات.

عندما توجهوا إلى غرفة الطعام وجدوا بابها مفتوحًا وقد تهشم زجاج الباب الخارجي.

- أرأيتم؟ قام ذاك الشخص بتحطيم الزجاج والتسلل من هنا، فتحُ باب المنزل الخارجي ليس بأمر سهل، يا له من شخص ماكر.

ابتسم ظافر محدثًا نفسه: " جميلة أنتِ وماكرة يا حبيبتي.. لا تيأسي".

- لماذا تبتسم هكذا أيها الحارس الغبي.

ارتبك ظافر وصاح فيه:

- لا أبتسم... ولا توصفني بالغبي حتى لا.....

قاطعته سهر:

- اهدأ يا ظافر.. لا تعطِه اهتمامًا ودعه يقول ما يقول هذا الأبله.

ضحك ظافر ونظر إليه بسخرية مما أثار غضب شاهين وسار متوجهًا إلى باب المنزل.

امتطى كل من سهر وظافر حصانهما، في حين وقف شاهين خارج سور المنزل ينظر هنا وهناك ثم رأى شيئًا ما عالقًا على أحد غصون الشجر يتحرك بجوار السور. أسرع إليه... فوجده قطعة من قماش لثوب حريمي. لمعت عيناه ثم قام بشمه.. وابتسم ابتسامة عريضة قائلا:

- (بتـــــول). انظرا.. إنها قطعة من ثوب بتول.. لقد كانت هنا.. وتسللت عبر السور على تلك الحجارة، هاهاها إنها قريبة من هنا (بتـــــول) أين أنتِ يا حبيبتي.

غضب ظافر وأسرع إليه قائلًا بحدة:

- ليس هناك أي شخص والظلام دامس، ولن نستطيع العثور عليها الآن.. لنعاود البحث غدًا في ضوء الشمس.

قاطعته سهر:

- لا يا ظافر... إن كانت بالفعل قريبة.. علينا العثور عليها بأسرع وقت.. أعلم سبب حضورها.. وإن رحلت فقد عثرت على ما أتت

من أجله وعلينا القبض عليها قبل أن تفعل أي شيء يعرضنا للخطر.

صاح شاهين:

- يجب أن أعثر أنا عليها وسأسلمكم الرمح وتتركوها لي..... لكن... كيف علمت بتول بأمر الرمح... وكيف علمت بمكان المنزل!!.....

قالت سهر بدهشة:

- لا يعلم مكانه أحد غيرنا.. ولم أذكر موقعه أمام أحد إطلاقا.. لكن.....

- لكن ماذا يا سهر؟

- الأوراق الخاصة بالمنزل مدون بها عنوانه.. تُرى هل سرقها أحدهم.. أم بتول نفسها تسللت للقصر دون علمي وقامت بسرقتها.

غضب شاهين:

- ذهبت أبحث عنها في كل مكان وهي بالأخير في قصري.. يا لسخرية القدر... بتـــول... لن تستطيعي الفرار بعيدًا عني تلك المرة.. سأجدك يا بتول.

شعر ظافر أن هناك خطرًا كبيرًا قد يلحق ببتول وظل معهما حتى إن وجدوها يقوم بالهجوم عليهما وحمايتها ولا يبالي باكتشاف أمره. بحثوا طويلا في كل مكان قريب من المنزل ولكن لم يكن لها أي أثر.. ظلوا هكذا حتى مطلع الفجر.. واطمأن قلب ظافر أن بتول ابتعدت عن المكان واستطاعت الهروب منهم.

سأل نفسه: "تُرى هل وجدتِه يا بتول؟ وأين توجهتِ بعدها؟ أتمنى أن أعرف قبل ذهابي لهذا الاجتماع الغبي مع مكرب.

رأته سهر شاردًا فقالت:

- ظافر... بماذا تفكر؟!

- لا شيء يا سهر.. لقد أرهقتُ من البحث وكان يجب عليّ أن أنعم ببعض الراحة قبل السفر.

- أعلم حبيبي ولكن كما رأيت.. أصبح شاهين كالمجنون.. ولا تقلق أتباع مكرب لن يتركوا تلك الفتاة اللعينة حتى يعثروا عليها ولن يستطيع شاهين حمايتها ولا ذلك الرمح إن وجدته بالفعل... فلقد بحثنا عنه من قبل في كل ركن وحفرة بداخل المنزل ولم يكن له أي أثر.. اطمئن.

أومأ ظافر برأسه ولكنه لم يطمئن بل زاد انشغاله وخوفه على بتول. احتار في أمره، فيجب عليه الذهاب حتى يعرف ما يحدث في اجتماع الشيطان وأيضا معرفة ما يخططون لأجله والمكان الذي نفي إليه عبدول وإن ضاعت فرصته تلك سيُكشف أمره ويقتلونه، أم يجازف بكل هذا ويبحث عن بتول ويحميها.

ركض ظافر على ظهر فرسه متوجها إلى مكان ما قبل المضي في طريقه إلى الصحراء الكبيرة.

هبط من على حصانه ورفع عمامته من على رأسه ومشط شعره للوراء بيديه ثم طرق باب كوخ صغير في مكان يشبه الغابة.

خرجت المرأة العجوز.. ابتسم ظافر قائلًا:

- الحكيمة (باهـلة) السلام عليكِ، كم وددت رؤيتك منذ زمن طويل من كثرة حديث أبي عنكِ.

- عليكم السلام ورافقك السلام وملأ قلبك بالسلام..... بُني.. ما جئت لأجله لم يأتِ بعد.. وليس مقدرًا اللقاء بعد.. فكما تنتظرها أنت، أنتظرها أنا مهما طال البعد.

تعجب ظافر قائلًا:

- كيف؟ هل تقرئين الأفكار أم ماذا؟!

ابتسمت باهلة قائلة:

- قلت لتوك أن أباك أخبرك عني، وإن أخبرك فلمَ تتعجب من أمري أيها الأمير؟

- أنا أمير؟ هاهاها.. أنا مجرد فارس صغير.

- بل أميـر عظيم، ظـافر ابن كبير كهنة الكهف الأبيض، الحامي بأمره المرشد والمراوغ الهمام، من يأخذ الجمال بعيدًا عن الأهوال، ويخرج به وحده من بؤرة الظلام.

- ماذا يعني كلامك... لا أفهم شيئًا!

- أنت ثرثار مثلها، تريد معرفة كل شيء قبل حدوث أي شيء.. اذهب يا ظافر لكن لا تشاركهم طقوسهم... راقب وتابع واسمع وتعقب دون أن تُعقب.... الكلمة عليك محسوبة والكفر باللفظ معلوم، كما هو قلبك مغمور بحب الله وفي طاعة الله فلا تنطق

بالطاعة والولاء إلا لسواه... مهما كلفك الأمر، فإن مت تكن آخر كلماتك التوحيد، وإن عشت تعِش تقيًّا صاحب لسان نقي.

- لكن باهلة.. أبي أخبرني أن أردد وراءهم وأقول كما يقولون وأفعل ما يفعلون... وإن لم أفعل سيكتشفون أمري...

- لا تصغِ إلى بسطام... عليك أن تتذكر ما قلته للتو.. خُذ منهم ما تريد، ثم اذهب لبعيد، وعد إن أتى الموعد المنتظر وسيأتيك الخبر عند البؤرة السوداء سيحضر الموت وستصرخ الأفاعي.. سيخرج الأمير ومعه المنقذ الجميل ويغلق بوابات الجحيم... يغلقها للأبد.

قالت باهلة تلك الكلمات مشيرة إليه بالانصراف وأغلقت باب كوخها قبل أن يتفوه بكلمة أخرى.

أثناء ذلك أرسلت سهر الجن (ظام) ليخبر مكرب بأمر بتول حتى يتوخى الحذر منها.

*****

برهـوت (الثقب الأسود)

- **(بئـــــــــر برهـــــــــوت):**

بئر برهوت أو الثقب الأسود...معناه (أرض الجن أو مدينة الجان)، هو بئر تاريخية قديمة تقع في مدينة حضرموت في اليمن.. تقع في وادٍ عرف بوادي بَرْهُوت وذكر في بعض الأحاديث النبوية، من سيرة النبي محمد (ﷺ) وقيل إن هذه البئر بها أشر ماء على وجه الأرض. تعرف أيضًا ببئر (فوجيت) حسب روايات البعض لوقوعها في منطقة فوجيت..

بئر عميقة حاول العديد من الأشخاص اكتشافها ولكن فشلت جميع المحاولات ولم يستطع أحد النزول بداخلها حتى إنه قام البعض بمحاولة تثبيت كاميرا بالداخل لتصوير ما يحدث فيها وتسجيل الأصوات التي تخرج منها ولكنهم فشلوا أيضًا فهناك شيء غير مرئي يمنع حتى مرور تلك المعدات خلالها.

يبلغ قطرها حوالي (١٠٠) متر، ويبلغ عمقها حوالي (٢٥٠) متر، ولكن العمق غير مؤكد لعدم وصول أحدهم إلى أعماقه.

لا يستطيع أحد رؤية ما بداخلها إلا في حالة تعامد الشمس تمامًا على فتحة الفجوة.

تسكنه الطيور الغريبة والبعض ذكر أن تلك الطيور هي الحمام الأبيض فقط ولكن المؤكد هو وجود أعداد مهولة من

الأفاعي الكبيرة الخطيرة.

بينما تقف بجوارها تسمع صوت ماء جارٍ في الأعماق على الرغم من وقوعها في مكان وسط الصحراء الشديدة الجفاف والحرارة.

تم ذكر عدة أساطير مخيفة عنه وقيل إن الشياطين والجن والأرواح الشريرة تسكنها.

ومن بعض تلك الأساطير والخرافات التي ذكرت أن هذه البئر حفرت بواسطة ملوك الجن من أجل أن تكون سجونًا لهم، يضعون فيها من يعصيهم وأكدوا تلك الأساطير بالظلمة الحالكة في قاع البئر والغازات والأبخرة التي تتصاعد أحيانًا منه.

والأسطورة الثانية تقول إن أحد ملوك الدولة الحميرية القديمة (كما ذكرت لكم من قبل في أحداث الرواية عن الملك مكرب أو قبيلة المكارب من الدولة الحميرية) استعان هذا الملك بالجن في حفرها من أجل إخفاء كنوزه، وعندما مات استوطن هؤلاء الجن البئر ليتخذوها موطنًا لهم ويقوموا بحراسة الكنز.. لذلك لا يستطيع أحد الاقتراب منها وإن فعلها يلقى حتفه في الحال بأبشع طريقة موت.

ومن القصص المهمة التي رويت عن هذه البئر، ما ذكره الأصمعي عن رجل حضرمي أنه قال: نجد من ناحية فوهة برهوت رائحة كريهة نتنة فيأتينا الخبر أن عظيمًا من عظماء الكفار قد مات.

ويحكى أن رجلًا بات ذات ليلة بهذا الوادي قال:

كنت أسمع طوال الليل (يا دومة، يا دومة) فذهبت إلى بعض أهل العلم فقالوا: إن الملك الموكل بأرواح الكفار اسمه (دومة).

قيل أيضًا إنه يصدر من البئر أنين وأصوات وهمهمات غريبة...

كما قيل إن هذه البئر هي أحد مداخل عالم جوف الأرض الداخلي ومن استطاع أن يخترق كل الصعاب والرعب وما يوجد بأعماقها سيدخل إلى جوف الأرض.

• والأسطورة الأغرب المرتبطة بتلك الرواية عزيزي القارئ، هي تلك العلاقة التي تربط بين البئر والحظرد (مؤلف كتاب العَزيف) ذكر فيها أن عبد اللّه الحظرد مكث في البئر مدة طويلة وهناك رأى واكتشف مخلوقات وعوالم وكيانات الأزمنة السحيقة الغابرة منهم (الجن، الحن والخن والبن) ...

ومن بعض الأحاديث النبوية عن هذه البئر:

قال رسول اللّه ﷺ في بئر برهوت:

" إن فيها أرواح الكفار والمنافقين وهي بئر عادية قديمة عميقة في فلاة عميقة في فلاة وواد مظلم"

وعن علي بن أبي طالب ﷺ قال:

" أبغض البقاع إلى اللّه تعالى وادي برهوت بحضرموت، فيه بئر ماؤها أسود منتن يأوي إليه أرواح الكفار ".

- **(مغارة برهوت):**

تقع داخل أحد الجبال شرقي محافظة حضرموت بالقرب من قرية تنعة، وهي مغارة مظلمة وعميقة تمكن الكثير من المستكشفين من دخولها، والتصوير فيها عكس بئر برهوت.

ويقول السكان هناك إنها هي المقصودة ببئر برهوت أو الثقب الأسود وتعيش الخفافيش والثعابين فيها وتنتشر منها رائحة كبريتية بالإضافة إلى الرطوبة العالية.

وإلى وقتنا الحالي ما تزال أسطورة برهوت سرًا من أسرار الطبيعة المليء بالغموض.

وما زال البحث مستمرًا.....

مضى ظافر في طريقه إلى الربع الخالي حيث المكان الموصوف له المحفوف بالمخاطر والرعب الملقب ب (كهــف برهــوت)

"سئمت من كل ما يحدث، فلماذا لم أعش حياتي كجميع من هم في عمري.

لماذا تورطت في هذا العمل ووقعت في حب فتاة مصيرها مجهول ومرعب، حبذا لو كان الحظرد مجرد شاعر مهووس بشعره فقط ولم يسافر هنا وهنا بحثًا عن الماضي المرعب والتواصل مع كيانات ما قبل الطوفان، لما كان يحدث كل هذا الآن، ملعون أنت يا عبدول أينما كنت".

ثم فجأة اهتزت أرض الصحراء الخاوية مصدرة زمجرة عالية وكأن وحشًا ما سيخرج من بين الرمال المتحركة.

سقط ظافر من قوة الاهتزاز ونظر حوله مذعورًا فلأول مرة يحدث هذا الشيء في أثناء سيره في الصحراء الخاوية.

ظل للحظات على الأرض وكان يخشى الوقوف ليكمل طريقه، وفجأة وتحت شعاع الشمس الحارة وجد شيئًا ما أو كيانًا ما أمامه على هيئة ضوء عالٍ يقف على الرمال. ثم جاءه صوت يصدر من هذا الكيان وكان يُشبه صوت بتول، هادئًا وحنونًا.

(قف يا ظافر وأكمل طريقك ولا تخشَ أي شيء، لقد أغضبته بكلماتك وأراد بث الرعب في قلبك حتى تعود عما تفكر به، لا تنسَق لمثل هذا، فالقادم أشد وأكثر رعبًا، لا تخشَ شيئًا يا ظافر، ثق بإيمانك وقل لربك: " إني مغلوب فانتصر ").

ابتسم ظافر وعادت قوته وثقته بنفسه إليه ﴿ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾ ﴾[١].

بعد ساعات طويلة غابت الشمس وحل الظلام، كان يشعر بالتعب والجوع ولكن ظل يمشي على ضوء مصباحه أملًا العثور على كهف برهوت....

ظهر أمامه فجأة رجل ضخم يرتدي عباءة سوداء طويلة تغطي كل معالمه ويُمسك بيده مصباحًا كبيرًا.

وقف ظافر محاولا رؤية وجهه أسفل الوشاح الأسود ولكن لم يرَ أي شيء.

ودون أن يتفوه الرجل الضخم أشار إليه بالمضي خلفه.

سار ظافر خلفه قليلًا ثم وجد نفسه أمام جبل كبير وعالٍ، صعد الرجل عدة خطوات على الجبل حتى وصل لفتحته، كانت روائح غازات كبريتية غريبة تنبعث منه حتى إن ظافر وضع يده على أنفه من شدتها ثم دخل إلى الكهف وحاول التأقلم على تلك الرائحة.

المشاعل تنير جدران الكهف على كل جانب، ما زال الرجل أمامه يسير حتى وقف أمام فتحة ك باب ضيق في مؤخرة هذا الكهف.. أشار إلى ظافر بالدخول وما إن دخل حتى وجد الكثير من الرجال والنساء يرتدون جميعهم تلك العباءات السوداء، ثم رفعوا

---

[١] القمر: ١٠.

الوشاحات من على وجوههم مرحبين بحضور ظافر.. كانت ملامحهم عجيبة متسمة بالحدة والغضب حتى إن تبسم أحدهم ظهر وكأن وجهه قد يتمزق بسبب ابتسامته البسيطة..

النساء متبرجات بشكل مبالغ فيه يبدو وكأنهن من الساحرات الملعونات وكن ينظرن إلى ظافر بإعجاب متبادلات معه الترحاب بالإشارة إليه بكؤوس الخمر في إيديهن.

ناوله أحدهم كأسًا منها فقام بسكبه دون أن يلمحوه ثم رفعه على فمه وكأنه يشربه ويتلذذ بطعمه.

جلس أمام طاولة خشبية ضخمة محاطة بمقاعد كثيرة لتسيع هذا العدد من الأشخاص ممتلئة بكل الأطعمة الشهية وكل أنواع الخمور، كانت أمعاؤه تتلوى من شدة الجوع ولكنه لم يستطع حتى الاقتراب من قطعة خبز.

ليسمع هاتفًا بصوت بتول يجيئه مرة أخرى.

(قل بسم الله يا ظافر، وكل ما شئت من الطعام فأنت تحتاج لقوتك، لا تخشَ شيئًا).

ابتسم ظافر وقال: (بسم الله) وانقض على الطعام وكأنه لم يأكل منذ أيام عديدة.

بعد أن انتهى نظر حوله باحثًا عن (مكرب) ولكنه لا يراه.

وقف من مجلسه وسار يتفقد كل جزء بالكهف وكأنه واحد من هؤلاء الأشرار.

كان هناك باب آخر ضيق ولكنه مظلم فلم يكن هناك أي من

المشاعل بالممر داخله.

تحسس ظافر الجدران وكان الممر يسع شخصًا واحدًا يسير به فكان ضيقًا للغاية وكانت الرطوبة عالية وتزداد كلما توغل إلى الداخل.. وصل أخيرًا لمكان واسع وضخم به بعض المشاعل القليلة.

فرك عينيه بعد أن تشوشت الرؤية بسبب سيره في الظلام كالأعمى.

"ما هذا؟ شيء ما يتحرك على الجدران، يا إلهي إنها مجموعة كبيرة من الأفاعي، تشبث بقوتك يا ظافر فلن يضرك شيء بإذن الله".

قالها ظافر ليطمئن قلبه.. ولكن لم يكن هناك أي شخص فوقف ظافر قليلًا ليطمئن من عدم تسلل أحدهم، ودخل إلى الغرفة ووقف في منتصفها، نظر إلى الأرض فوجد رسومات غريبة داخل دائرة كبيرة في المنتصف.

تحرك ليكتشف كل جزء متلاشيا الأفاعي الضخمة على جدار الغرفة ولكنها بدت فارغة تماما من أي شيء..

فجأة وقعت عيناه على حفرة بجدار الغرفة الصخرية رآها بصعوبة على ضوء المشاعل..

تردد قليلًا محدثا نفسه: "ظافر إن وضعت يدك داخل تلك الحفرة من الممكن أن يكون هناك ثعبان ضخم يلتهم ذراعك أو أي شيء يسكنها... لكن بتول قالت لا تخشَ شيئًا... (بسم الله)".

ما إن وضع يده شعر بمقبض ما فقام بتحريكه... وفجأة تحرك حائط صخري ببطء ليفتح أمامه حجرة أخرى فوجئ بوجود (مكرب) داخلها.

كان يضع كل تركيزه وحواسه في شيء ما بين يديه حتى إنه لم يشعر بوجود ظافر خلفه.

كان يتمتم بكلمات غريبة ثم توقف فجأة واستدار لظافر الذي انتفض قليلا ثم عاد ووقف في ثبات وكأنه لا يخشاه.

قال مكرب بسخرية:

- أتظنني لا أعلم بوجودك وتسللك أيضًا إلى هنا.. (زنــقط) أخبرني، ألا تراه!!.

نظر ظافر خلفه فوجد نمرًا بشكل مرعب يقف خلفه دون أن يُحدث أي صوت.

فزع ظافر قليلًا ثم نظر إلى مكرب وكأنه لا يبالي مرددًا بداخله (ربي إني مغلوب فانتصر).

(زنقـــــــط هـــــو أحـــــد ملـــوك الجـــن الكافـــر الـــذي يظهـــر علـــى هيئـــــة قـــــط أو نمـــــر ضخـــــم).

- يُدهشني ثباتك وقوة قلبك يا ظافر، فالجميع هنا عند حضورهم أول مرة كانوا يغشى عليهم من شدة الفزع.

قال ظافر بثقة:

- إن كنت خائفا أو أخشى أي شيء لما أتيت من البداية، هؤلاء لا يتحلون بالقوة.

- هاهاهاها... وأصبحوا الآن يا ظافر في منتهى القوة.. وأنت أيضًا ستزيد قواك قوة.

ابتسم ظافر ونظر إلى الكتاب بين يديه، فتح فمه عن أخره عندما قرأ اسمه **(الـعـزيـف)**

لاحظ مكرب أنه يدقق النظر في المجلد فابتسم قائلا بهدوء:

- نعم يا ظافر إنه كتاب (العزيف) الذي ألفه (عبدول) وهذا ما استخدمه لإحضار (بعلزبول) إلى هنا واتمام طقوس (السابات).

قام ظافر بهز رأسه وكأنه يعرف كل شيء عن هذا الكتاب، ثم نظر إلى مكرب قائلًا:

- وهذا ما سنعيد به عبدول من منفاه مرة أخرى، صحيح؟

- بالضبط يا ظافر فقد ترك عبدول بداخله طريقة عودته مرة أخرى ولكن بشروط معقدة محددة.

- نعم، أعلم هذا أيضا.... وجود المخلص أو المخلصة من نسله.....

- هاهاهاها نعم يا ظافر لكن إن كنت تعني (بتول) فليست هي

ولكن أحتاج وجودها هي أيضًا؛ لقد بعثتْ سهر الخادم (ظام) وأخبرني بما حدث معكم أمس ولكن أرسلت بعض الخدم من الجن للبحث عنها وإحضارها... ولكن يجب أن أعثر على (تيماء) أولًا.

ضحك ظافر بسخرية قائلا:

- أندهش من كونك ملكًا عظيمًا من المكارب وبين يديك خدام الجن السفلي وكبار السحرة ولا تستطيع إحضار أشخاص مصيرك بين يديهم في وهلة.

صاح مكرب في وجهه غاضبًا:

- أنا مكرب ولست الملك (سليمان) لأطلب عرش أحدهم كما فعل بملكة سبأ (بلقيس). حاولت مرارًا وتكرارًا البحث عن تلك القوة التي كان يملكها الملك (سليمان) ولم أستطع الحصول عليها.. حولي الكثير من الجن والسحرة والخدام وأستطيع جلب كيانات من عوالم أخرى... وحينما طالبت بشيء صغير كهذا لم يستطيعوا فأحرقت أكثرهم ونفيت البعض.. وأملي يكمن في عودة عبدول لعله يعرف السر فإنه عالم بخفايا الماضي منذ أبد الدهر.

ضحك ظافر بصوت عالٍ قائلًا بسخرية:

- حتى وإن عاد عبدول لن تستطيع ولن يستطيع عبدول نفسه أو أي مخلوق في العالم.

اندهش مكرب من ثقته تلك فسأله بخبث:

- ولماذا لن يستطيع أي مخلوق الحصول على تلك القوة مثله... أتعلم لماذا؟؟!!

- نعم أعلم ولكن لا تغضب مما سأقوله لأنها الحقيقة كما رواها لي أبي وأجداد أجدادي فمن المعروف أن ما حدث مع (الملك سليمان) معجزة كبيرة.. فسخر الله له الجن والطيور والحيوانات لخدمته وإنه استطاع التواصل معهم والتحدث معهم كيفما شاء... لكن السر الحقيقي يكمن في دعاءٍ ردده راجيا فيه الله..... لا تغضب أرى عينيك تكاد تشتعل.. أنا فقط أروي لك ما علمته".

أشار إليه مكرب ليُكمل حديثه.

-منذ أن تولى (سليمان) الحكم بعد أبيه (داود) تزوج من مائة امرأة ولم ينجب طفلًا من إحداهن، فأقسم أن يطوف عليهن جميعًا في ليلة واحدة حتى تأتيه كل واحدة بغلامٍ يكن فارسًا يجاهد في سبيل ربه، وبالفعل طاف عليهن جميعا فلم تحمل منهن سوى امراة واحدة، لكنها جاءت (بشق) ولد (أي بنصف طفل) فرجع إلى ربه وتاب قائلًا: "ربي اغفر لي ذنبي وأعطني ملكًا عظيمًا خاصًّا لا يكون مثله لأحد من البشر بعدي إنك كثير الجود والعطاء، فاستجاب له وزلل له الريح تجري بأمره طيعة مع قوتها وشدتها حيث أراد، وسخر الشياطين له يبنون ما يريد ويغوصون له في البحر، يستخرجون الدر والحلي ومن عصاه منهم قرنه في الأصفاد وأوثقه ".

﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٠﴾ ﴾[1]

تعجب مكرب قائلًا:

- ماذا تريد إخباري به بالضبط يا ظافر.... أفصح وقم بالتوضيح.

ابتسم ظافر وقال:

- الكلام لا يحتاج توضيحًا، أراد الملك سليمان أن ينجب مائة فارس في يومٍ واحدٍ ولكن شاء قدر ربه أن تحمل واحدة وتنجب نصف طفل، فلما ندم وعاد ليدعو ربه ويسأله المغفرة أعطاه ما تمنى وكان من ضمن أمنياته في دعائه أن يعطيه ملكًا عظيمًا لا يمكن أن يمتلكه أحد من بعده... معنى هذا أن بسبب وبسر دعائه لن يستطيع مخلوق على وجه الأرض الحصول على تلك القوة بعده.... أفهمت سيدي..... مكرب.

زمجر مكرب كالحيوان المفترس قائلا:

- فهمت يا ظافر ولم أكن على علم بتلك الرواية من قبل.... لقد

---

[1] ص: ٣٤-٤٠.

دعا ربه وألقى علينا بلعنة في نفس الوقت، لكن كيف هذا.. والحظرد تحدث مع كل الكيانات القديمة مثله وأيضا مع الحشرات وكما ترى الجان يقومون بخدمتنا ويزيدون من معرفتنا وقوتنا.. تبقى أشياء صغيرة إن تحققت سنتوصل إلى كل ما كان يملكه سليمان من قوة.

ضحك ظافر قائلًا بينه وبين نفسه: "ما هي إلا أحلام وهواجس فلن يرقى أحد لمكانة الرسل والأنبياء عليهم جميعا السلام، فمن منا في إيمانهم وصدقهم وإخلاصهم في العبادة أيها الكفرة.. لتفرح قليلًا حتى يأتيك عذاب الله وليسامحني رب العالمين على وجودي هنا الآن، فاستغفرك ربي وأتوب اليك".

نظر ظافر إلى مكرب باستياء قائلًا:

- أتظن أن عودة الحظرد ستمكنك من الحصول على قوةٍ لم يأتِ بها أحد؟!

- نعم يا ظافر سأتعلم منه كل شيء، هذا الكتاب ينقصه شيء ما لا يعلمه غير الحظرد، لقد عثرت عليه بعد اختفائه هنا وقرأته مرات عديدة ونفذّت كل الطقوس، تعلمت أشياء كثيرة عن السحر والجن وأشياء عن التاريخ القديم والماضي المخيف للبعض، لكن ما زال هناك حلقة مفقودة، وهاتان الفتاتان (بتول وتيماء) لمَ العثور عليهما صعب بهذا الشكل وكأن هناك قوة أخرى مضادة تحميهما أو تنتظر ظهورهما في وقت محدد، أثبت ولاءك بالبحث عنهما معي، لعل السر يكمن في أضعف المخلوقات.

- أتقصدني أنا بأضعف المخلوقات مكرب، أعني سيدي مكرب!

- هاهاهاها... لا تنزعج يا ظافر فأنا أمزح، لكن بالفعل ما زلت ضعيفًا، فلم تأتِ بقوةٍ كبيرةٍ مثلا، أو تتعلم فنون السحر بعد... هيا فقد اكتمل عدد أعضاء المجموعة وحان الوقت لعقد اجتماع السابات.... هيا (زنقـط) اذهب واطلب من الجميع الحضور هنا في قاعة الاجتماع.

اختفى الجن (زنقـط) في الحال وبدأ الجميع في دخول القاعة الواحد تلو الآخر ثم أمرهم مكرب بالوقوف حول تلك الدائرة بالمنتصف وترديد الطلاسم بعده.

قرأ بعض الطلاسم العجيبة من مخطوط (العزيف) بين يده.

فجأة صدرت أصوات وضجيج عالٍ بدت كأصوات مجموعة من الوحوش وداخل تلك الدائرة بدأ كيان ما في الظهور حتى تجسد تمامًا أمامهم..

بدا على هيئة رجلٍ ضخم رأسه كرأس الماعز وجسده كجسد الإنسان لونه أحمر داكن وعيناه سوداء مطمسة.. بدا مخيفًا للغاية. ما إن ظهر أمام الحضور حتى قاموا بالسجود أمامه لإبداء الترحيب به والطاعة له إلا "ظافر" أبى أن يسجد له.

نظر إليه الكيان بغضبٍ قائلًا بصوت مخيف:

- ألا تسجد لي أيها الإنسي؟!

فزع ظافر لوهلة وتذكر كلمات باهلة. قال بثقة:

- ولماذا أسجد لك؟!

وقف الجميع في دهشة وحملق مكرب في ظافر ولكن لم يتفوه

تاركا الأمر لـ (بعلزبول).

نظر الحضور كلهم إلى بعضهم بعضًا، ثم قال الشيطان (بعلزبول):

- من يقُم باستدعاء العظيم بعلزبول وحضور اجتماعه يجب عليه تقديم فروض الولاء والطاعة وأن يسجد له أولا.

- اعذرني لم أعرف الفروض التي عليّ القيام بها ولكن كيف أضمن حصولي على القوة التي يظن الجميع أنهم يحظون بها بعد تقديم تلك الفروض.

زمجر الشيطان بصوت عالٍ:

- أنت تجادلني ومن يجادلني وجب تطبيق العقوبة عليه.

اندهش مكرب وحملق بعينيه في وجه ظافر بغضب قائلًا:

- ماذا تفعل يا ظافر.. ألم تأتِ هنا لتكون منا؟!

قال ظافر بكل هدوء:

- نعم جئت لأكون هنا ولكن لماذا أسجد له وهو لا يمتلك القوة الكافية لعبادته.

صاح الشيطان:

- أتشكك في قوتي أيها الإنسي؟!

ضحك ظافر بسخرية:

- نسيت ما حدث يا إبليس في الماضي، نسيت ربك الذي كفرت به عندما أمرك بالسجود لـ (آدم) وأبيت أن تفعل ذلك دون جميع

المخلوقات بزعمك أنك أقوى وأفضل منه، إن الزمن يدور الآن... وإني أفعل بك ما فعلته من قبل... لن أُطيع أوامرك تلك ولن أسجد لك.. فإنني ابن من أمرك الله بالسجود له.. أنا ابن سيدنا آدم عليه السلام أول الأنبياء...

- حسنا ستكون عبرة لأمثالك سواء كانوا بني آدم أو أي من المخلوقات.

- هاهاها ستقوم بنفي أيها الضعيف كما فعلت بعبدول... كل من هم أمامك الآن يقومون باستحضارك حتى تكون وسيلة لشيء ما عندهم.. على سبيل المثال (مكرب) هذا يريد استحضار الحظرد الذي قمت بنفيه والسخرية منك باستبداله بفتاة ما تكون من نسله، وبعدها سيتركك ويكون في غنى عنك.. لأنه سيتعلم من الحظرد كل فنون السحر وكل خبايا الماضي ويزعم أن الحاضر أيضًا سيكون بين يديه وقتها.. استحضرك من كتاب به بعض الطلاسم، ومَن خطه وكتبه هو أحد بني آدم أيضًا، هذا الذي تستهزئ به.. لم يخطه أحد الشياطين أو أنت حتى... فمن الأقوى الآن "الإنسان الذي خلقه الله من طين أم الشيطان الذي خلقه الله من نار؟ ".

- أتتحداااااني؟!

- نعم أتحداك، هؤلاء الحاضرون من حولك، هم مجرد قوم ضعاف، لا يقوى أحدهم على فعل شيء دون بعض من السحر والشعوذة البالية التي لا تنفع سوى في أشياء قليلة... مكرب نفسه مشتت ومقيد القوى بسبب فتاة صغيرة لا يستطيع العثور عليها حتى من خلالك أنت زاعمًا أن هناك قوة أخرى مضادة تحميها..

معنى ذلك أن مكرب على يقين أن هناك قوى أخرى أعظم وأدهى منك، حتى تستطيع إخفاء شخص ضعيف عنكم.

صرخ إبليس في وجهه:

- سأقوم بنفيك في الجحيم حتى لا تموت دفعة واحدة وتتعذب طويلا قبلها حتى تقول آمنت بإبليس سيد العالمين...

- هاهاهاها سيد العالمين هو خاتم الأنبياء سيدنا محمد ﷺ.

صرخ الجميع قائلين:

- لتمُت شر ميتة.. اقتــله سيدنا إبليس، اقتــله.

زمجر بعلزبول في وجه مكرب:

- أتأتيني بمسلم في اجتماعي يستهزئ بي ويسخر من قوتي يا مكرب، ستندم على كل هذا، ستنــدم كثيرا.

ثم أشار بيده المخيفة إلى مكرب الذي خرج من جسده بعدها دخان كثيف لونه أسود وفعل ذلك بعدها مع جميع الحضور.

سادت حالة من الفزع والهلع بينهم، فقد أصبحوا بلا قوى سحرية واختفى جميع الجن من حولهم. مرددين كلمات للعفو والصفح عنهم ولكن إبليس لم يهتم بأمرهم.

سجد مكرب له قائلًا:

- سيدي لا تصدق هذا الغبي الضعيف، إنه مدسوس بيننا ليفعل كل هذا.. لا تحقق له مراده وسترى ماذا سأفعل به لأنتقم منه.

سار مكرب تجاه ظافر وأخرج خنجرًا مسنونًا لامعًا ليقوم بذبحه..

فقيده إبليس فجأة واندهش مكرب مما فعله قائلًا:

- أتحمي هذا الوغد بدلًا من أن تجعله عبرة.. ماذا تفعل سيدي؟!!

ظافر يقف بكل ثقة ولم يتحرك خطوة.... ضحك إبليس ضحكة شيطانية وهو ينظر إلى ظافر.

أمسك مكرب بمخطوط العزيف وفتح إحدى صفحاته مرة أخرى ليتلو بعض الطلاسم، صاح بعلزبول به:

- لن تستطيع تغيير شيء الآن يا مكرب.. سأثبت لهذا الوغد أنكم من دوني لن تستطيعوا فعل أي شيء.. ولن أسلم الحظرد لك... فهو يُعذب الآن شر عذاب ببئر برهوت (الثقب الأسود).... وسأقوم أنا بالعفو عنه لاحقًا، فقط من أجل إخضاعه مجددًا لكل أوامري وهو بالفعل سيفعل ذلك بعدما شاهد بعينه ماذا يسعني فعله فيما ظن أنه الأقوى مني مثلك أيها العبد ظافر.

لمعت عين ظافر حينما علم بمكان عبدول... بئر برهوت قريب من كهف برهوت جدًّا.

أسقط مكرب (العزيف) من يده فركض ظافر وأمسك به بقوة..

أطلق الشيطان (بعلزبول) ضحكات صاخبة مرة أخرى قائلًا:

- لن ينفعك بشيء أيها الغبي... من دون طاعتي أنا أبليس.. هذا الكتاب مجرد أوراق فارغة.

نظر إليه ظافر قائلًا:

- حسنا دعه لي... لكن هل ستقوم بنفيي لمكان الحظرد وتعذيبي أيضًا.

اقترب الشيطان منه قائلًا بخبث:

- أتخشاني وتخشى عذابي؟ هيا قلها لعلني أجعلك أنت الأقوى والأعظم بينهم.. قل: آمنت بإبليس سيد العالمين.

ابتسم ظافر قائلًا:

- آمنت برب العالمين وسيدنا محمد خاتم النبيين... ولا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين.

زمجر الشيطان بغضب مرة أخرى:

- هاهاها أتظن نفسك (يونس) حتى يخرجك ربك من كهف برهوت كبطن الحوت هاهاها. حسنا أين هو ظافر، لقد اختفى، لا أراه فجأة هاهاها.. أرأيت؟ لم تختفِ أيها الضعيف، لم يستطع ربك إخراجك بهذا الدعاء... لكن إبليس يستطيع إخراجك..

ابتسم ظافر بخبث قائلًا:

- حسنًا إبليس دعني أخرج وإن استطعت الانتصار عليك تعترف بأنني الأقوى وأن إيماني بالله أعظم.

قال إبليس بخبث:

- وإذا خسرت؟!!

- سأعترف أنا بالهزيمة وسأكون وقتها ملكًا لك لتفعل ما تشاء..

- لاااااا.. ستكون ملكي وتسجد أولًا لي وسأفكر وقتها ماذا سأفعل بك أيها الوغد الغبي.

- حسنًا أوافق.. سأسجد وقتها لك يا (بعلزبول)...

ثم قال ظافر ساخرًا منه:

- ألم يجدوا اسما آخر لك دون هذا الاسم المقزز الغريب هاهاهاها..

صاح إبليس:

- ستندم ندمًا شديدًا على سخريتك تلك، اذهب الآن وبيننا لقاء قريب وسترى بعينك ماذا سأفعل أو سنفعل أنا والحظرد معًا.... سأخرجه أيها العبد قريبا بعد عقد عهد جديد معه... فقد شاهد هول ما سيحدث بعدها للجميع.

ركض ظافر سريعًا وهو يمسك بمخطوط العزيف حتى خرج من الكهف..

سجد على الأرض شاكرًا لله على نجاته قائلًا: "ظن إبليس أنه من أخرجني من هناك وحال بيني وبين الهلاك، لكني على يقين وإيمان تام أنك وحدك ربي من أنقذني من هذا الشرك العظيم وأحللت عقدة لساني جاعلني قويًّا أتحداه وأثير فضوله، الحمد والشكر لك ربي وحدك، فأنت المنجي وأنت القوي وأنت العظيم وأنت المعبود وحدك لا شريك لك... الحمد والشكر لك حمدًا طيبًا كثيرًا مباركًا فيه".

وقف مكرب وأتباعه باكيين.

قال مكرب:

- ما فعلته خطأ عظيم سيدي... دعني أستعيد قواي وسترى ماذا سأفعل به هو ومن يحميه.

ضحك الشيطان بسخرية:

- أنت لا منفعة منك وتخطط أيضًا لشيء ما تتحداني به، راقب ما سيحدث فقط..... لكن انتظر يمكنني الوثوق بك وبأعوانك مرة أخرى إذا استطعت التغلب على تلك القوى المضادة التي تزعم وجودها، لكن دون مساعدتي، وقتها فقط سأصفح عنك وأعيد لك قواك بل بأكثر منها، ارحل الآن وحاول العثور على كل هؤلاء فلقد اقترب الموعد.

اختفى بعلزبول بعدها وكان مكرب في حالة شديدة من الغضب ناظرًا إلى كل من حوله الذين كانوا يرمقونه بغضب أيضًا ويحملونه عبء كل ما حدث لهم في تلك الليلة المشؤومة.

*****

التحدي الأعظم

عاد ظافر في اليوم التالي إلى (كهف الكهنة الأبيض) فكان لا يعلم ماذا سيفعل بعد ذلك وماذا سيفعل بكتاب العزيف الذي حصل عليه أخيرًا.

دخل على والده يلهث من التعب فلم ينعم بالراحة ساعة واحدة.

فزع كبير الكهنة (بسطام) حينما رآه وأسرع باحتضانه وتهدئته ثم نظر إلى يديه مذهولًا قائلًا:

- ما هذا يا ظافر؟! (مخطوط العزيف)؟!! أين كنت؟!! كيف عثرت عليه؟!....

لم ينطق ظافر بكلمةٍ.. ذهب إلى فراشه واستلقى عليه لينعم بقسطٍ من الراحة..

تركه والده واجتمع ببقية الكهنة مدركًا أن هناك أمرًا عظيمًا حدث مع ولده ظافر.

بعد عدة ساعات كان ظافر يغط في نومٍ عميق، وفجأةً استيقظ باحثًا عن المخطوط حوله، ثم أسرع إلى أبيه ليطمئن أن كل ما حدث لم يكن مجرد كابوس استيقظ منه.. وما إن دخل على والده... وجده ممسكًا بالعزيف بين يديه حتى اطمئن أنه لم يكن حلمًا.

جلس أمام والده وبقية الكهنة وقص عليهم كل ما حدث في (كهف برهوت)...

صاح الجميع مباركين إياه ومهللين له على شجاعته وانتصاره على إبليس بدهائه الذي لم يتوقعوه.

ربت والده على كتفه قائلًا:

- فخورٌ بك يا ظافر، كنتَ شجاعًا أكثر من اللازم ولم أشك بقدرتك ولو للحظة ولكن القادم أسوأ فقد تحديت الشيطان نفسه ولن يتركك تفلت بفعلتك حتى ننتصر نحن عليه.

نظر إليه ظافر مبتسمًا وقال بهدوء:

- سننتصر بإذن الله يا أبي، لكن يجب أن أعثر على بتول بأي وسيلة، لكنها اختفت تمامًا حتى إني ذهبت إلى باهلة ولم أجدها هناك، لن يكتمل شيء من دونها.

- أعلم يا ظافر، نحن في حاجةٍ ماسةٍ لوجودها فلقد اقترب الموعد ويجب أن نتأهب لمواجهة الحظرد والشيطان معًا... انظر إلى هذا المخطوط فهناك أمرٌ عجيبٌ، لقد تكهن الحظرد بأمر نفيه وعودته مرة أخرى، انظر ماذا كتب هنا...

قرأ ظافر ما كتبه الحظرد من قبل في مخطوطه قائلًا:

لـيْـلًا يَـجـوسُ وعَـزْفُ جِـنٍّ يُـبْـعِـدُ
هـيهـاتَ: يَعـرفُ أو يـمـوتُ الـحَـظـرَدُ
مجـنـونُ مَـنْ لا تُـرجـمـانَ سـواهُ عـنْ
طُـلـسْـمِـهـا، والـتُّـرجـمـانُ هـنـا غَـدُ
وهـنـاكَ مـاضٍ ما مـضىَ بـل شـاعـرٌ
في هـتْـكِ سِـرِّ الـخـافـيـات لَـهُ يَـدُ
مـا بَـيْـنَ ذيّـاكَ الـهُـنـاكَ وهـا هـنـا
حَـجَـرٌ يـقـولُ: أنـا الـدفـيـنُ الـفـرْقـدُ
فـضّـًا لأخـتـامٍ تَـنـامُ بـكـهـفـهـا
ولـنشـر مـا تَحـوي اشـرأبَّ الـمَـقـصَـدُ
فـتَـجَـشّـمَ الـمـجـنـونُ بـطـشَ عـصـابـة
نـكـراءَ تَـخـشـى أن يَـجـيءَ مُـفَـنـِّـدُ
يا مَـن قـصـيـدتُـهُ الـوحـيـدةُ: إنّـهُ
قـيّـافُ آثـار الـتي تَـتَـقـَصَّـدُ
ألّا تُـرى مِـن بَـعْـدهـا آثـارُهُـا
شبحًا يُـغـطـيّـهِا الـدخـانُ الـسَـرْمَـدُ
طـرُق إلـيـهـا بـالـرؤى تَـتَـعَـبَّـدُ
والأرض لـم يَـعـبثْ بها الـطـوفـانُ أو
غـضـبُ الـسـمـاء ورعـدُهـا الـمـتـوعِّـدُ

مـا أوحـشَ الأطـلال لـيـلًا، هـا هـنا
مَا يـبـتـغـي؟! مَـنْ ذلـك الـمـتَـشـرِّدُ؟
يا روحَ مجـنـونِ الـعـــزيـفِ تَـنَـزّلـي
صـوتـا يَـرُجّ صَـوامـتـــا تَـتَـنَـهّـدُ
سَـلـْنـي تَـجِـدْنِي فِي خـرائـب بـابـلٍ
والـسـرُّ يَـلـمـع والـلـيـالي إثـْـمَـــدُ
أجُـنِـنـتَ؟ لا، هـذا جـنـون عـاقِـل
وبـه أصـدّ أذى الـذيـن... وأطـــردُ
إرَمٌ ـ إذًا ـ ذاتُ الـعِـــمـاد بـدايـة
أنّـى وأيـنَ، مَـن الـدلـيـلُ الأرشـدُ؟
لا بُـدَّ مِـن مَـسعـى، عـلامـاتٍ، صُـوىً
تَـثْـرى لِـيُـقـــرَأ فـي رقـيـم أبْـجَـدُ
قـرمـيـدة صغـرى تُـفـَسِّـرُ صـرْحَـهـا
كـمْ جـرّةٍ طُـمِـرَتْ وفـيـهـا عَـسْـجَـدُ
هُـمْ أوْهَـمـونَـا: الـرُبعُ خـالٍ، ما خـلا
ومـدائـــن تـحـــتَ الـرمـــالِ ورُقـَّـــدُ
جَـبَـلُ الـحـقـيـقـة مـاسَـة وسـفـوحـهُ
مَـلـسـاءُ، يَـرْقـــاهـــا الـذي يَـتـزوّدُ
وحْـدي بـواديـهـا الـسحـيـق أروزُهـا

أصَـعَـدتَ؟ لا، طـارتْ رؤايَ الأعـنَـدُ
إنَّ الجَـنـاحَ وسـيـلـة، أنـا غـايـتـي
ألـمـاسُ يـأتـي إنْ أردت ويَـشـهـدُ
عَـمّـا وراءَ بـريـقـهِ، أنـا آيـتـي
في الـغـيْـبِ أسـنى مِـن سَـنـاهُ وأصـلَـدُ
أخـذوا عـن الـفَـلَـكِ الـمُـجَـنَّـح كـونَـه
وتَـرًا يُـرَخـّى تـارة ويُـشَـدّدُ
فـتـوقـّعـوهُ سَـلالِـمًـا وتَـنـاغـمـا
وتـخـاطـروا وتـنـافـذوا وتَـجَـسّـدوا
الـذبـذبـاتُ هـيَ الـصـلاة وشـرْطُـهـا
أنَّ الـمُـشَـمِّـرَ لـلـصـلاةِ مُـعَـمَّـدُ
مَـنْ مَـعْـمَـدانُـك؟ مَعْـمَـداني! رَمْـلُـهـا
مُـتَـيَـمَّـمي، هـذي الـفـلاة الـفَـدْفَـدُ
هُـمْ ربّـمـا أدهـى ولـكـنْ لا كـمـا
يـتَـوهّـمـونَ، وكـلّ بـحْـرٍ يُـزبـدُ
حتى إذا الـطـوفـانُ طـوفـنَ، جُـمِّـعَـتْ
في الـفـُلـْكِ مكـتـبة يـقـولُ الـهـدهـدُ
قـامـوسُ ألسنةِ الـدهـور جـمـيـعِـهـا
يـخـتـارُ قارئه ـ هُـنـاكَ ـ الـمُـنـجِـدُ

أقـــرَأ تَـهُ؟ وقـرأتُ غـابَـةَ مـعْـبَـدٍ
أوراقـهـا بَـعْـدَ الـخـريـفِ مُـجَـلّـدُ
ومـجـلّـد ومُـجـلّـدٌ ومـجـلّـدٌ
ومـجـلّـدٌ ومـجَـلّـدٌ ومـجَـلّـدُ
قـبْـلَ الـخـريـف غـيـومُ حِـبْـرٍ أخـضـر
والـطـقـسُ نـرْدٌ بـالـمُـنى يَـتَـلَـبَّـدُ
مـفـتـاحُ أبـوابِ الـغـيـوبِ عـبـارة
طُـبِـعَـتْ عـلى قـلـبٍ لـهـا يَـتَـهـجّـد
قـمْ شقَّ صـدرَكَ إنْ عـزمْـتَ وجَـدْتَـهـا
لـكـنَّ تَـأويـلَ الـقـراءة أعـقـدُ
عَـدَدٌ وصـوتٌ والـمُـصَـمِّـمُ لا يُـرى
إلّا الـصـروحُ تـصـيحُ: ثَـمَّ مُـشَـيِّـدُ

- **شعر بقلم (جمال مصطفى)**
- **الشاعر والناقض العراقي موقع (الشبكة العنكبوتية)**

نظر ظافر إلى والده في ذهولٍ ثم قال:

- يا إلهي ما هذا الشعر الغريب؟!!.... بين سطوره مفاتيح عجيبة.. كذبذبات الصلاة.. والرياح تعوي، والطوفان... وعودة المدفون من مرقده.. وشق الصدر.. تأويل القراءة..... أيعني به قراءة مخطوط العزيف!!..... حتى إنه ذكر أمر فتاة ما بين معاني أشعاره وكأنه يتحدث عن (بتــول)....

قاطعه والده:

- أو يتحدث عن (تيـماء)!!

قال ظافر:

- تيــماء تيــماء اسمٌ يتكرر ولغزٌ محيرٌ.. أين هي؟.. أتعلم أبي؟!!.. لقد رأيتها.

اندهش والده قائلًا:

- حقا بني؟ أين؟ وكيف؟ ولماذا لم تُمسك بها؟

- في تلك الليلة التي أمرتني بها بالبحث عن بتول.. كنت نائمًا ورأيت بتول تقوم بمصارعة (ورل) ضخم، ثم ذبحته وأكلت لحمه.. وتعجبتُ وقتها وهاجمت بتول بسبب تلك الفعلة.. لكن حينما واجهتها بالأمر تعجبتْ وكانت لا تعلم عنه أي شيء.. أدركتُ وقتها أنها لم تكن هي من فعلت ذلك... لكن (تــوأمها تيــماء) هي من فعلت وظهرت بنفس مكان بتول وكأنها تشعر بوجودها أينما كانت.... تشبهها تمامًا غير أن عينيها غريبة لونها أسود مطمس من أي بياض ومخيفة، لكنها في نفس هيئة بتول.. لم أستطع إخبار بتول بالأمر وتشتيتها وانتظرت حتى يحين وقتٌ معينٌ ملائم لأخبرها أن توأمها ما زالت على قيد الحياة ولكنها (النســل الشريــر) الذي يستهدفه مكرب، وأن بتول محصنة من أي شر فقد قامت باهلة

بحمايتها وهي رضيعة.. ليتها فعلت ذلك مع تيماء.. شاهين لم يقم بقتلها كما أخبر والدها.. شاهين كان على علمٍ بكل شيءٍ قبلها ولهذا تقرب من (طاهر عبدول) بأمر من سهر ومكرب.. أشياء كثيرة باتت واضحة وصناديق أخرى ما زالت بلا مفتاح وموصدة.

هز أبوه رأسه وصمت قليلًا ثم قال فجأةً:

- لقد ذكرت للتو أن تيماء تشعر بوجود بتول وكأنها تتبعها، صحيح؟

- نعم أبي ذكرت ذلك وهذا ما أظن.

لمعت عين أبيه وقال:

- أنت على حقٍّ يا بني... أينما وجدت بتول تتبعتها تيماء.

- إذًا أين هي بتول يا أبي؟!... لقد جُن جنوني من التفكير.

- اهدأ بني، وانعم بقسطٍ من الراحة اليوم.. غدًا في الصباح اذهب إلى باهلة وستجد معظم الأجوبة.. فهي من دلك على خوض تلك المغامرة المخيفة في كهف برهوت حيث ذكرت من قبل أمرًا خاصًّا بالبؤرة السوداء وكانت تعني البئر الأسود أو الثقب الأسود.. أيضًا ذكرت إذا حضر الموت كانت تعني مدينة (حضرموت).. قالت تصيح الأفاعي وكانت تعني تلك الأفاعي الممسوسة بالجان المختبئة هناك بأمرٍ من الشيطان.. باهلة تعلم بوجود الحظرد هناك وخروجه من هناك..

- نعم أبي أصبت.. معنى ذلك أن عليّ الذهاب لباهلة لحل ألغاز وشفراتٍ أخرى...

في صباح اليوم التالي امتطى ظافر ظهر فرسه مسرعًا إلى كوخ باهلة في الغابة.

في أثناء ذلك ذهب مكرب إلى قصر شاهين.

أسرعت إليه سهر في قلقٍ قائلة:

- مكرب، ماذا حدث؟! حاولت استدعاء (ظام) أو (زنقط) أو أي من الخدام دون جدوى.. حاولت التواصل معك من خلال الفنجان والمرآة دون جدوى.. ماذا حدث؟!

نظر إليها بغضبٍ وأمسكها بقوةٍ من كتفيها ناهرًا إياها قائلًا:

- أنتِ السبب في كل ما حدث وسيحدث، وثقتِ بهذا الشاب وجعلتِه يدخل القصر ويعرف الكثير من الأسرار والآن ادفعي الثمن... بل ندفع جميعًا الثمن.. لقد سلبنا إبليس قوتنا كلها بسبب ظافر.. تحداه وتركه حتى يرى ماذا سيفعل وأصبحتُ مجردًا من أي قوة إلا إذا استطعت القضاء على كل من يحمي بتول وذاك الشاب.. القوى المضادة التي أعتقد أن المسئول عنهم هم كهنة الكهف الأبيض.. عليّ القضاء عليهم جميعًا حتى يعفو عني إبليس وأستعيد قوتي.... الحب يا سهر يُضيع كل شيء.. أحببتِ ذاك الفارس فضاعت القوة.. وشاهين العجوز المتصابي أحبَّ بتول فضاعت هي الأخرى وضاع الحلم معها.. الحب يكون العنصر الأساسي خلف أي كارثة.

صرخت سهر:

- وماذا سنفعل يا مكرب؟ لقد استطاع خداعي وبالتأكيد هو من يساعد بتول، وسرق الأوراق الخاصة بأبيها من غرفتي، حتمًا إنه معها

الآن يحتفل بالانتصار.. مكرب يجب ألا نبكي على اللبن المسكوب، لن يشرب أحد دماء هذا الوغد غيري، أنا سأقتله بيدي ولا تقلق سيعود كل شيء كما كان وكما خططنا له سيحدث، هيا بنا.....

- إلى أين أيتها المجنونة؟؟!!!

- إلى الصحراء الكبيرة، حيث كهنة الكهف الأبيض، بالتأكيد بتول وظافر هناك معهم... يجب أن ينتهي كل شيء، وأيضًا شاهين عليه أن يذهب معنا حتى يرى فتاته الصغيرة أولًا بين أحضان ظافر وثانيًا وهي مذبوحة كالغنم أمام عينيه ثم أقتله ليموت ثلاث مرات.

كان شاهين يسمعها هي وأخيها وسمع ما تخطط لأجله..

جمعت سهر كل أفراد الحراس في القصر للذهاب معها والقضاء على الكهنة وأمرتهم بإجبار شاهين على الهبوط من غرفته الآن للذهاب معهم.

صعد الحرس للطابق العلوي ولكن لم يكن هناك أي أثر لشاهين.

صرخت سهر وأرادت الصعود لتبحث عنه فأوقفها مكرب مشيرًا إليها بعدم الاهتمام لأمره وأنه سيأتي رغمًا عن أنفه حتى ينقذ بتول.. وأن ليس هناك وقت كافٍ لتلك الأمور.

***

وصل ظافر إلى كوخ باهلة ليلًا وكان يشعر بالبرد، والقشعريرة تسير في جسده، فوضع وشاح رأسه على فمه والتفح بشدةٍ بعباءته الثقيلة، فلم يظهر منه أي شيء سوى عينيه.

وجد باهلة تجلس أمام باب الكوخ وتشعل بعض الحطب لتنعم بالدفء ووضعت فوق ألسنة النار إبريقًا كبيرًا حتى تحضر مشروبًا ساخنًا.

كانت بالكاد ترى على ضوء لهيب النار أمام عينيها.. نظرت إلى خيالٍ ما يقف أمامها دون أن يتفوه بكلمة، حاولت تدقيق النظر فيه ولكن لم يظهر له أي ملامح، صاحت فيه:

- من أنت؟! فيم أتيت

ارتجف ظافر من شدة البرد ومن الواضح أنه مصابٌ بالحمى فتحدث بصوتٍ خافتٍ غير واضح قائلًا:

- أنـــا.... أنـا جئت..... لأعرف.... أشياء..... آاااااااه رأسي.

ضربه أحدهم بقوةٍ على رأسه فتأوه من شدة الضربة ثم سقط على الأرض أمام باهلة.

بعد مرور ساعتين

ظافر يرقد على فراشٍ صغيرٍ بكوخ باهلة وجلست بجواره تضع كماداتٍ من المياه الباردة على رأسه لتخفض حرارته وكانت تطحن مجموعة من الأعشاب الغريبة؛ حتى تجعلها ممزوجة ليشربها في ماءٍ مغليٍّ حتى يمتثل للشفاء.

بدأ يفتح عينيه ثم أمسك رأسه وهو يتألم قائلًا:

- من الذي ضربني من الخلف هكذا يا باهلة؟؟ سأشرب دماءه حيًّا هذا الوغد...

ابتسمت باهلة وقالت بهدوء:

- لماذا جئت ليلًا متخفيًّا هكذا، لم أظن أنك ستكرر زيارتك بعد يومين فقط، ظننت أنك ستمكث في كهف برهوت مدة أطول.

جلس على الفراش أمامها معتدلًا وخرج من باب الكوخ يستنشق بعض الهواء النقي، صاحت باهلة فيه:

- أنت لم تتعافَ بعد، تعالَ هنا قبل أن تنتكس مرة أخرى.

- لا باهلة... أشعر بالاختناق، وأريد بعض الهواء ولا تقلقي أعشابك وحساؤك جعلاني أشعر بالتعافي والصحة... من أين تأتين بكل تلك المعرفة والعلم يا باهلة؟!

ابتسمت باهلة ثم جلست على حجرٍ ضخمٍ أمام الكوخ قائلة بهدوء وهي تنظر للسماء:

- " أتـدري؟ لقـد خلقنـا الله مختلفيـن لنتـكامـل، الهـادئ يحتضـن الغاضـب، والمتسـرع يستشيـر المتـأني، والمنعـم بالصحـة يساعـد المريـض، ويتـوازن المسـرف مع المدبر "

- جميل يا باهلة وصفك لكن أختلف معكِ في الرأي، ليس الجميع يُكمل ما انتقص من الآخر.. البعض يشعر بالسعادة إن امتلك شيئًا كالصحة، أو المال، أو الجمال، أو المعرفة وغيره لا يمتلكها، يسعد وكأنه يحتكرها لنفسه ولا يريد رؤية الآخرين منعمين في الراحة مثله.

- أتظن أن مثل هؤلاء يا بني سعيد حقًّا!!....

"سـر السـعادة يـا بنـي يكمـن في العطـاء" حتى لو قوبل هذا العطاء بالبغض والنكران، من عامل الناس وكأنه يعامل الله فاز بنعيمه فالجزاء عند رب العالمين ليس بين مخلوقاته.

- لكن باهلة... ما رأيته أمس وفي أواخر الأيام الماضية.....

قاطعته باهلة:

- أعلم ما حدث، وكنتُ على يقينٍ من أنك صاحب دهاء عقلي وقوة أكبر من قوتك البدنية... والقوة الحقيقة في الرأس وليست في العضلات.. لقد ولدت فصيح اللسان يا بني.

ضيق ظافر عينيه واقترب منها قائلًا:

- تعلمين كل شيء.. وهناك من يخبرك بما يحدث بعيدًا عنكِ... ولا تقولي الكلام دفعة واحدة وإن تفوه فمك قال ألغازًا يجب أن نعمل على فك شفراتها بتمعن.. لماذا باهلة كل هذا؟.. لم أعد أقوى على حل تلك الألغاز... أخبريني بكل شيءٍ دفعة واحدة فالقادم مرعب..

ابتسمت باهلة وألقت ببعض الحطب الصغير في كومة النار وقالت:

- ماذا تريد أن تعرف بالضبط يا ظافر؟!

- كل شيء باهلة... كل شيء وأولها: مَن الجني الذي ضربني على رأسي؟

قالت بسخرية:

- وما الثاني؟

صاح ظافر:

- أخبريني عن الأول أولًا، ثم أخبريني..... أين أعثر على (بـتول).

ضحكت باهلة بشدة:

- هاهاهاها..... ظافر إذا وجدت الأول عثرت على الثاني.

- بـاااااهلة أرجوكِ بلا ألغاز.

- وما اللغز في ذلك ظافر؟!

- انتظري.... تعنين أن ذاك الجني هو.....

- هي..... وليس هو يا ظافر.. بتـــول.

نظرت باهلة خلفه بابتسامة، فاستدار فجأة وفتح فمه وساد الصمت قليلًا ثم قال:

- مرة أخرى يا بتول تأتين من الخلف وتضربينني على رأسي....

ابتسمت بتول واقتربت منه ببضع خطوات قائلة:

- لم أقصد في تلك المرة ظافر... ظننتك شخصًا ما يحاول إيذاء باهلة.. كنتَ متخفيًا بشدة... سامحني يا ظافر.

ابتسم ظافر وابتهج وجهه واقترب منها ليحتضنها، فهمهمت باهلة لتنبهه بوجودها، شعر ظافر بالخجل ثم أمسك بيد بتول بقوة قائلًا:

- تلك اليد الناعمة تعلمت أن تضرب بقوة.

- نسيت من علمني وقال يجب أن يكون العصا قويا حتى يضرب بقوة؟! كنت أجمع لباهلة بعض الحطب ووجدتك أمامي فأمسكت بأقواها وضربتك بها. هل تأذيت؟

- لا بتــول..... بل تعـافيت حين وجدتك، لكن المهم كيف استطعتِ الهروب والتخفي من شاهين وسهر في منزلك ذاك اليوم. لقد أخبرهم (ظام) بدخولك.. ووجد شاهين قطعة من ثيابك وعلم أنه أنتِ... أتعلمين إن وجدك يومها كنت قتلته وقتلت سهر حتى أحميكِ منهما.

- لا يا ظافر.... لا تلوث يدك بدماء هؤلاء الأشرار أبدًا مهما حدث....

ضحكت باهلة بصوت عالٍ قائلة:

- وقف الثرثاران معًا وارتحتُ من أسئلتهما الكثيرة أخيرًا... استمرا فإني أستمتع بهذا.. هاهاهاها.....

ضحكا كلاهما ثم قال ظافر:

- حقًّا بتول أخبريني ما حدث... وهل وجدت.....؟

قاطعته بتول:

- الرمح؟

- نعم.. الرمح!!

- لا تقلق يا ظافر الرمح بأمان داخل الكوخ.

لمعت عين ظافر وابتهج وجهه قائلًا:

- عظيــم.. حمدًا لله.. أين وجدته؟ في المنزل بمكان خفي صحيح؟!

- لا يا ظافر بل هنا في كهف باهلة.

- هنا عند باهلة؟ كيف؟! ولماذا لم تخبرينا يا باهلة وجعلتِنا نخوض في تلك المؤامرات ونعرض حياتنا للخطر..... لماذا لم.....؟

قاطعته بتول:

- "لا تُلقِ بالاتهامات على باهلة فكانت تجهل مكانه... عندما جاء إليها أبي حتى تحميني رأى أن لديها قدرة على حماية من لجأ لها وخصوصًا أنا، وأراد فيما بعد إن وقع به مكروه أو فارق الحياة أن أعود مرة أخرى لها...

دفنه خلف الكوخ ووضع علامة لتمييز المكان... حجارة حمراء منقوش عليها وشمي.

في ذاك اليوم ذهبت للبحث عن الرمح بالفعل في منزلنا، ولم أترك مكانًا إلا وبحثت فيه، لكن دون جدوى".

وقفت بتول ثم دخلت إلى الكوخ وخرجت بعد لحظات ممسكة بيدها دفتر الرسومات ودميتها القماش، جلست بجوار ظافر فسألها في دهشة:

- ما هذا؟!

ابتسمت له بتول قائلةً:

- بعدما يئستُ من البحث وجدت دفتر رسوماتي ودميتي تلك، كنت منهكة القوى تمامًا وخائفة في ذات الوقت، أخذتهما وخرجت مسرعة من المنزل وصرتُ أفكر، جُن جنوني، نظرت حول المنزل

هنا وهناك ولكن الظلام كان دامسًا فلم أصل لأي شيء، قررت الرحيل لأرتاح في مكانٍ ما ثم أعاود البحث حول المنزل في وضح النهار، أخذت أسير لمسافاتٍ بعيدةٍ حتى شعرت بالإرهاق الشديد فتوقفت في مكانٍ بعيدٍ لأنعم بقسطٍ من الراحة وجلست بين الأشجار وأنا أنظر إلى دفتري الصغير فغلبني النعاس، كنت قريبة من كوخ باهلة وعندما أشرقت الشمس فتحت عيني على دفتري الصغير وأمعنت النظر في دفتري أثناء تساقط أشعة الشمس على أوراقه، وحينما فكرت في سبب تكرار رسمة الكوخ وقرص الشمس الأحمر في كل صفحة، شعرت بأنها إشارة من أبي إلى شيء ما، وكأنه أراد إخباري به، وجدت الكوخ يشبه كوخ باهلة، ورسمة الفتاة خلفه في كل صفحة، فأسرعت إلى هنا ووقفت خلف الكوخ، وإذ بي أجد حجرًا صغيرًا على الأرض، وكان عليه رسمة الوشم الأحمر، حفرت أسفل الحجر حتى وجدت الرمح وشعرت بسعادة بالغة، دخلت إلى الكوخ وأخبرت باهلة وكادت تطير من فرط سعادتها بي، احتضنت دميتي وبكيت بشدة وأنا أتذكر أبي، أثناء ذلك شعرت بشيء ما داخل قماش الدمية فمزقتها وأخرجت تلك الورقة، انظر يا ظافر، إنها رسالة من أبي، انظر.

أمسكها ظافر وقرأ الرسالة في دهشة.

"ابنتي الغالية بتول، اعلم أنكِ ستجدين تلك الرسالة في يومٍ ما وستكونين قد عرفتِ الكثير من الحقائق التي قد تصيبك بالدهشة والذعر، سامحيني يا صغيرتي، تركت لكِ إرثًا مخيفًا وحملتك رسالة وواجبًا أقوى من أن تفعليه، ولكن ما بيدي حيلة، فلا يختار أحد

والديه، نصيبك وقع بأن يكون جدك هو (عبدول الحظرد)، ظننت أنني سأنعم بحياة عادية حتى رأيت باهلة وأخبرتني بالمجهول، وقتلتُ توأمك بنفسي، كم هذا مؤلم، كانت على قيد الحياة وتشبهك إلى حد ما، لكني أدركت أن الشر يستوطنها وأنها ورثت شيئًا ما من جدها، كانت عيناها كبؤرة ظلام قاتمة وكانت مخيفة على كونها رضيعة، نظرت إليّ وكأنها تتوعدني، فأسرعت إلى صديقي شاهين وأخبرته ونصحني بالتخلص منها على الفور، لأن بها عرقًا شيطانيًّا سيحرقنا جميعًا، لم أستطع فعلها بيدي وطلبت منه حملها بعيدًا وقام بدفنها حية كما كانوا يفعلون أيام الجاهلية، شاهين يا ابنتي كان صديقي المقرب وكنت أثق فيه، وقتها لم أفكر بشيء وندمت أشد الندم بعدها، حتى إنني ذهبت إلى الصحراء لعلني أجدها وبحثت عنها بين الرمال، لكن قد فات الأوان، آمنت بقدر الله وكنت مستعدًا لتلقي الجزاء والحساب على ذنبي الذي لا يغتفر، حتى اقتص القدر لها، وعلى يد شاهين أعز أصدقائي، حيث سمعته في يومٍ ما يتحدث إلى زوجته وعلمت بمخططتهما ضدي وما ينويان فعله بكِ وقررت مواجهته، وأردت ترك تلك الرسالة لكِ فأشعر أن شيئًا ما سيحدث لي، اغفري لي يا صغيرتي وعلى يقين أنكِ ستعثرين على الرمح وستجتازين كل المصاعب، اعتني بنفسك، وأكملي رسالتك، وكوني بأمان مع باهلة، فهي من تقوى على حمايتك بعد الله.

والدك طاهر عبدول".

صمت ظافر بعد أن أنهى قراءة الرسالة ونظر إلى بتول بحزن التي حاولت إخفاء دموعها التي كادت تنهمر بشدة.

ابتسمت باهلة قائلة:

- بتول... أعلم من البداية أنه هنا... وكان عليّ حمايته.. لكن لم أستطع إخباركما بذلك لأنه كان عليكما خوض كل هذا.. حتى تقوما بفتح صناديق الأسرار بأنفسكما.. وأعلم أنكما لديكما القوة التي تمكنكما من فعل هذا.

صاح ظافر:

- الوقت يداهمنا يا باهلة، وكل لحظة تمر تعرض حياة بتول للخطر.

قاطعته بتول:

- وأنت أيضًا يا ظافر.

- لا بتول.. المهم أنتِ.. أنا أعلم أن موعد لقائي قريب.. لقد تحديت الشيطان نفسه والقادم أسوأ مما تتخيلين.. لن يتركني حتى يقضي عليّ هو وعبدول.. ومن الممكن أن أتركِ تخوضين المعركة وحيدة بعدها... ويجب أن تكوني قوية بما فيه الكفاية للتصدي لهم وحدك.

- لن يحدث يا ظافر.. لن تتركني..

أخذ ظافر ينظر حوله وكأنه يبحث عن شيء ما.. اندهشت بتول وسألته:

- هل أضعت شيء ما؟!!

- لا... أبحث عنها.

- من هي؟؟

قاطعتها باهلة:

- يبحث عن تيماء يا بنيتي....

- وما الذي سيأتي بتيماء إلى هنا؟!

تلعثم ظافر ثم قال:

- لأنها تتبعك.. هذا ما أظنه.

صاحت باهلة:

- دعكما منها الآن.. كان مكرب يريد تيماء حتى يستطيع استحضار عبدول بها من المنفى والآن أصبح في غنى عنها... لأن بعلزبول سيقوم بإخراجه بنفسه... أنتِ التي تمثلين خطرًا كبيرًا عليهم وخصوصا بعد حصولك على الرمح، أنتِ المنقذ.

أمسك ظافر يدها بقوة ونظر إليها قائلًا:

- متى ستتمين الحادية والعشرين؟!

- بعد ستة أيام يا ظافر.

- غريبة!

- وما الغريب في ذلك؟!

- إنه نفس يوم ميلادي يا بتول.

صرخت بتول:

- أنت أيضًا ولدت في يوم أرقامه متشابهة وباهلة قامت بحمايتك؟!

- هاهاهاها.. لا يا صغيرة، ولدت في نفس اليوم والشهر لكن سبقتك بخمسة أعوام.

صاحت باهلة:

- دعكما من كل هذا الآن.. علينا بالتحدث فيما يفيد.. تبقى ثلاثة أيام.

قالا في ذات الوقت:

- بل ستة أيام.....

- لا.. ثلاثة فقط على موعد خروج الحظرد من منفاه داخل الأراضين السبع من بئر برهوت.

نظر بتول وظافر إلى بعضهما بعضًا..... ثم قال ظافر:

- ماذا سنفعل الآن! علينا الحذر، سيخرج بشر وانتقام مضاعف... باهلة نحن نحتاج إلى مساعدة القوى المضادة... وأنتِ وحدك تعلمين مكانهم ومن هم.....

قاطعته بتول:

- ظننتهم كهنة الكهف الأبيض!

- لا يا بتول.. أبي وأعوانه مجرد وسيلة لحماية البعض من سحرهم وممارسة طقوسهم ولديهم من العلم الكثير ولكن ليس بالقدر الكافِي لمساعدتنا.

قالت باهلة بحزن:

- نعم ليس والدك وأعوانه ولكنهم يظننون أنهم هم وسينقضون عليهم في أي لحظة.

فزع ظافر وصاح:

- أبي في خطر... سيقتلونه يا باهلة... عليّ الذهاب إليه.

أشارت إليه باهلة بالجلوس قائلة:

- لا تخف يا ظافر؛ هو بأمان... وأنتما حتى ذلك الوقت بأمان.

جلس ظافر بجوارها وقد هدأ روعه قائلًا:

- الحمد لله.. أين هو؟!

سآخذكما لمكانه فنحن جميعًا في حاجة لبعضنا البعض وأن نكون يدًا واحدة ضدهم.

- حسنا باهلة.... نحن جميعا معكِ ونثق بكِ.....

صمت الجميع طويلًا ثم نظر ظافر إلى بتول ورأى دموعها تنهال على وجهها فتسقط كالسيل على يديها، أمسك بكتفها وضمها بين أضلعه بقوة.

نظرت إليه باهلة باستياء قليلًا ثم ابتسمت بعدها ونظرت إلى الجانب الآخر.

همس ظافر لبتول قائلًا بحب:

- "أنـا معـك

بجـوارك أمسـح أدمُعـك

أُمسـك بيـدك وأعبـر

إعصـارًا هـز أضلُعـك

لا تسألينـــي عـن القــوة
مـا قـول الحبيـب إلا صـدق
أنـــا معـك
وأقسمـت أن أكمـل معـــك
نـــورًا لـكِ، إذا تشتـت الطُّـرق
أنـا معـــك
أُصغـي لقلبـك، أسمعـــك
دعـك مـــن خـــذلان
مـــر بعينـكِ أدمعـــك
دعـك من نـار متقدة بصـدرك
وحديـث بشـر أوجعـك
لا تقـــولي ذهـب الجميـع
فالجميـع شخـص واحـــد
جـاءك ليكـون ملك يـدك
أنـــا معـــك".

مسح ظافر دموع بتول ونظرت إليه في حنان بابتسامة وكأنه أثلج خوفها وأطفأ نيران قلبها.

بالحب يستطيع كلٌّ منا خوض أكبر المعارك.

بالحب نستطيع أن نواجه الحزن والخوف والمُضي في طريقنا

بكل سعادة.

الحب أقوى سلاح نصنعه بأيدينا ونقوم بسنه بالإخلاص والمودة والاهتمام.

نرويه كالبذرة الصغيرة ليكبر وتشتد غصونه وجذوره فلا يقتلعه سوى القدر المحتوم.

استدارت باهلة مبتسمة لهما وقالت:

- هل انتهيت أيها الشاعر؟!

- لا تؤاخذيني باهلة فلم أستطع رؤية دموعها. باهلة أريد أن أفعل شيئًا ما قبل أن نبدأ في خوض المعارك.

- ماذا تريد يا ظافر؟!

نظر إلى بتول لوهلة ثم قال:

- أريد أن أتزوج بتول ولو ليوم واحد.

لمعت عين بتول وابتهجت، وحملقت باهلة في عين ظافر بصمت... ثم قالت بحزن:

- لن تستطيع فعل ذلك..... لا يجوز.

اندهش ظافر وصدمتهما باهلة بهذا الرد الجازم... نظرا إليها في صمتٍ منتظرين توضيحًا مقنعًا منها.

- "حسنا لا تفزعا هكذا ولكن لن تستطيع بتول الزواج قبل أن تقتل عبدول.. يجب عليها قتله وهي ما زالت عذراء.. هكذا قالت النبوءة.

(ثم تشق العذراء صدر الحظرد برمحها الأسود ويحضر الموت وتصيح الأفاعي).

بعدها إذا أراد الله لكما النجاة يمكنكما الزواج".

- فهمت يا باهلة... والآن أريد أن أطمئن على أبي... خذيني إليه..

- حسنا ظافر سننتظر بضع ساعات ثم نتحرك لمكان الشعاع الأبيض.

- ما هو الشعاع.....؟

قاطعته بتول:

- اصمت يا ظافر.. ستنام الآن دون أن تجيبك... هي تقول ما يجب عليها قوله في وقته وأوانه فقط، إنها لا تحب أن تطيل الشرح، تحبذ الأفعال.

هزت باهلة رأسها مبتسمة في صمت ودخلت الكوخ لتنام.

قبل بزوغ الفجر بساعة خرجت باهلة فوجدتهما نائمين بجوار بعضهما بعضًا منكمشين داخل وشاح صوف ثقيل من البرد.

صاحت باهلة:

- هيا أيها المحبوبان الكسالى.

فاق كلاهما مرتجفين من شدة برودة الجو ونهضا مستعدين للمضي إلى الشعاع الأبيض.

ساروا ببطء على خطى باهلة العجوز حتى وصلوا إلى أشجار كثيفة في الظلام لا يظهر منها أي شيء.

تأففت بتول قائلة بملل:

- ماذا بعد يا باهلة.. لقد أرهقني السير.

نظرت إليهما باهلة مشيرة بإصبعها حتى لا يتفوها..

بعد ساعة من الانتظار بصمتٍ وقلقٍ بدأت أشعة الشمس في شق نورها على أوراق الأشجار، وقفت باهلة ورفعت يدها إلى السماء قائلة بصوت عالٍ:

"لتظهر طاقة النور.. وحراس البلور.. ملوك الشعاع الأبيض.. حماة الأرض بإذنه.. أناديكم للنجاة.. فالوقت قد أزف.. جئت بالعذراء السمراء.. والرمح الأكبر.. ذات الوشم الأحمر ".

بعد لحظات تتعامد أشعة الشمس على مجموعة من الأشجار للتحول إلى بلّور كبير أبيض له باب مضيء.. يفتح الباب بهدوء وتشير باهلة لظافر وبتول بالدخول.

*****

عودة عبدول الحظرد

دخلا إلى البلورة الضخمة وكانت مختلفة تمامًا من الداخل؛ كل شيء بداخلها يشع كاللؤلؤ والذهب، وتفوح بها رائحة ذكية تشبه المسك والعنبر.

شعر ظافر وبتول وكأنهما في حلمٍ جميل.

توقفت باهلة فجأة وظهر أمامهم بعض الأشخاص يرتدون ملابسَ بيضاء فضفاضة من الحرير ولا يظهر منهم غير وجوههم التي تشع نورًا من شدة بياضها وعيونهم زرقاء كالسماء.

ابتسموا جميعًا حين وجدوهم بالداخل وتقدم أحدهم إلى الأمام بخطوات قائلًا:

- مرحبا باهلة، أعلم أنكِ ستحضرين وأعلم ما تخشي وقوعه.

نظرت إليه باهلة مشيرة إلى ظافر وبتول قائلة:

- جئت لك بالعذراء المخلصة.. وهذا ظافر ابن كبير كهنة الكهف الأبيض.

جذبتها بتول من يدها قائلة:

- من هؤلاء يا خالتي؟! يبدون كالملائكة أو شيئًا ما كالنور الجميل.. من هم؟!

ابتسمت باهلة وأشار إليها من أمامها لتعقبه من خلال سرداب مائل للأسفل.

دخل جميعهم في السرداب وساروا مسافة طويلة حتى وصلوا لغرفة ضخمة جميلة مملوءة بالطعام والفاكهة وأشجار الزينة والزهور، وتفوح رائحة البخور في كل ركن وكأنها قطعة من الجنة.

صاح ظافر:

- أبي.. أنت هنا!!!!؟!

أسرع إليه واحتضنه بشدة ونظر حوله فوجد جميع الكهنة في أفضل حال وسعادة...

- أبي من هؤلاء الطيبون المكرمون.. كيف أتيت إلى هنا في وقت سريع هكذا.. كيف قاموا بمساعدتك؟!

ابتسم أبوه قائلًا:

- اليوم لن أتحدث أنا وأُجيبك... ولا حتى باهلة... اليوم هو من سيتحدث معكم ويوضح كل شيء خفي عنكم... هيا تعالوا اجلسوا هنا معه هيا...

جلسوا بجوار بعضهم بعضًا أمام هذا الرجل صاحب الوجه الجميل وبدأ يرحب بهم:

- مرحبا بالأبطال... سررت برؤيتكم لكن أتباعي كل واحد منهم يرى شخصًا منكم طوال الوقت...

اندهش ظافر وبتول، وقال ظافر:

- عفوا من تكون؟ هل أنت ساحر؟ أم من الجن السفلي؟ أم شخص عادي.. أم ماذا؟

- أنا لستُ من هؤلاء جميعًا... أنا من الملائكة.. الملك (المعقب)..... نحن الملائكة (المعقبات) موكلين من الله العلي العظيم بحفظ عباده الصالحين في جميع الأحوال إلا في أمرٍ واحدٍ، إذا اجتمع في وجودنا ملك الموت (عزرائيل) ننصرف على الفور بأمرٍ من الله... نحن نحفظكم من الأمام ومن الخلف، فإذا جاء قدر الله تخلينا عنكم.

قال تعالى في سورة الرعد:

﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ﴾[1]

وقال جل علاه أيضا:

﴿ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴿١٠﴾ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۗ ﴾[2]

كل عبد منكم له اثنان من ملوك المعقبات أحدهما أمامه والآخر خلفه يحفظه في كل وقت من الإنس والجن والهوام فما من أذى يأتيكم إلا وقال الملك لكم "وراءك ".

وهناك اثنان آخران من الملائكة (صاحب اليمين وصاحب الشمال) مخولان بكتابة الحسنات والسيئات أحدهما على اليمين

---

[1] الأنعام: ٦١.

[2] الرعد: ١٠-١١.

والآخر على اليسار... لقد أمدكم الله بأربعة ملائكة يلازمونكم طوال اليوم... وهناك غيرهم وغيرنا أيضًا فنعمه عليكم لا تعد ولا تحصى.

ابتسم ظافر قائلًا:

- الآن فهمت أشياء كثيرة، قام الملكان الموكلان بحفظي، بحمايتي من شاهين وسهر ومكرب ومن اجتماع الشيطان بأمر من الله لأنه لم يحِن موتي بعد... وعندما علم الملوك المعقبات لوالدي بهجوم مكرب وأتباعه قاموا بنقلهم إلى هنا جميعا أيضًا بأمر الله.. لا ينجي منهم إلا من عمل صالحًا.

قالت بتول مبتسمة:

- أنا أيضًا من عباد الله الصالحين الذي تغشاني رحمته، لم تكن باهلة هي من قامت بحمايتي وحملي إلى كوخها ذاك اليوم يا ظافر الذي كنت تنوي قتلي به، إنهم ملائكتي الحراس، حملوني إليها لأنهم علموا أنني بأمان هناك، كم أنت لطيف بعبادك يا الله.

قال ظافر:

- هؤلاء هم القوى المضادة الخفية التي يريد الشيطان القضاء عليها ولا يعلم عنهم شيئًا.

نظر إلى أبيه بحزن:

- أبي إنهم يبحثون عنك الآن، يريدون قتلك أنت وكل من معك فماذا سنفعل.

قالت باهلة:

- لقد جئت بكما هنا لتتضح لكما بعض الأمور الخفية ولأساعدكما بحل لغز آخر، فكان عليكما مقابلة (المعقبات) لتعلما أن الله لا يترككما تحاربان وحدكما دون أن يحميكما، لكن أمثال شاهين وسهر ومكرب لا يستحقون الحماية وينفر الملائكة منهم لأنهم أولياء الشيطان... جئت بكما لتزدادا إيمانا مع إيمانكم ولتزداد قوتكما الداخلية وثقتكما برب العالمين أنه لن يضيعكما ما دامت لحظة الموت لم تحن.

وقف والد ظافر قائلًا:

- يجب أن نرحل من البلورة البيضاء الآن، وجودنا هنا لن يساعدنا بشيء، وملائكتنا المعقبات لن تتركنا لحظة فهي دومًا أمامنا وخلفنا.. يجب علينا جميعا الذهاب.

قال ظافر بدهشة:

- إلى أين أبي، الكهف يُمثل خطرًا عليك الآن.

قاطعته باهلة:

- ستذهبون إلى (بئر برهوت) حيث وجود الحظرد.

أصاب الذهول كليهما ثم قال ظافر:

- ألا يوجد خطة نسير عليها، نحن ذاهبون إلى الأرض الملعونة هكذا دون أن نرتب لأي شيء.

ضحكت باهلة:

- لا توجد خطة ولا ترتيب، ستسير الأمور حسبما قدرها الله وشاء.. بتول وظافر، الحرب بدأت للتو معكما، حتى الكهنة لن يستطيعوا مساعدتكما، أنتما وحدكما، إما تنتصرا وإما.....

قاطعها ظافر:

- إما نموت...

خرج الجميع من بلورة الشعاع الأبيض، وساروا في الغابة قليلًا ثم توقف ظافر ناظرًا إلى أبيه ليقول:

- أبي أين كتاب العزيف؟؟.... هل تركته بالكهف؟!!

- لا يا بني إنه معي هنا... انظر داخل جعبتي.

- الحمد لله.. حتى وإنه بلا قيمة لكن من يعلم، وجوده معنا أضمن....

صاحت باهلة:

- وجوده معكما ضمان فعلًا لشيء سيحدث.

قالت بتول:

- ما هو؟؟

ضحك ظافر:

- هاهاها لن تقول.. لنرى بأنفسنا يا بتول..

- أبي لتعود أنت وكل من معك إلى كوخ باهلة.. أنتم هناك بأمان، المكان محصن لديها ولا يستطيع الجن والشياطين الوصول إليه، أما أنا وبتول فسنشق طريقنا حيث (بئر برهوت) لننتظر هناك حتى

يحين خروج الحظرد، مضى يوم يا باهلة وبقي يومان كما ذكرتِ، يوم سفر حتى نصل إلى هناك، وننتظر يومًا حتى يحين الوقت.....

صاح والده:

- لا بني، لن نتركك أنت وبتول وحيدين، بالتأكيد ستحتاجان لنا بأي شكل.

وقفت أمامه باهلة قائلة:

- اتركه يا (بسـطام).

حملقت بتول بظافر وضحكت قائلة:

- اسم أبيك (بسطام) هاهاها لماذا خبأت عليّ اسمك يا (ظافر بن بسطام)..

اغتاظ ظافر منها وقال:

- وما أدراكِ أنتِ أيتها البلهاء بقيمة هذا الاسم... فإنه بمعنى الجرأة والتفضيل، والميم للتعظيم. لأن أبي رجل عظيم.. ولكن منذ أن أنجبني وماتت أمي، ترعرعت داخل الكهف الأبيض بين بقية الكهنة وكانوا لا ينادون أبي سوى بالكاهن الأعظم، فكنت أنسى دائما اسمه حتى إنني أناديه دائمًا بسيدي.. بسطام لا يعرفه سوى أصدقاء والدي الشيوخ.. كباهلة.. تعرفه منذ سنوات طويلة.

نظرت باهلة إلى بتول ممسكة كتفية قائلة:

- بتول سيواجهكِ شيء عظيم، شيء من الماضي، لا تلتفتي وأكملي ما بدأتِه.

- ما هو الماضي؟! لقد واجهته بالفعل.. هل هناك شيء ما زلت

لم أوجهه أم تعنين بحديثك جدي الذي تسير دماؤه بجسدي (عبدول)!

- لا.. ليس جدك هو ماضيك، قد تواجهين شيئًا غيره، قد يكون شخصًا آخر.. أو ربما نفسك.

قاطعها ظافر:

- ستمر يا باهلة.. لا تخافي، الحقيقة دومًا ظاهرة بين ناظرينا ولكننا أحيانا نتجاهلها لكي نمضي ونغفر لربما يكون ظننا في غير محله.

- بالضبط.. هذا ما أعنيه يا ظافر... يجب ألا تتجاهل الحقيقة ولا تنظر إلى المرآة على أنها صورة تعكس هيئتها الحقيقية فربما تظهر المرآة صورة لنا ولكن بشكل مزيف لا نحب أن نراه فينا.

- عن ماذا تتحدثان معًا... أنا لا أفهم شيئًا!

- هيا يا بتول.. أمامنا سفر طويل إلى الصحراء الخاوية.. لنأخذ بعضًا من الطعام والشراب ولنترك أحبابنا في أمان هنا.....

جهزا متاعهما في الكوخ وحملت بتول الرمح والكتاب الخاص بالوشم الأحمر ثم خرجا من الكوخ مودعين باهلة والكهنة.

نظر ظافر إلى والده بسطام قائلا:

- أبي.. إذا لم أرجع وحدث مكروه.. وخرج الحظرد وانقلبت الموازين وظهر الظلام.. رجاء جد وسيلة لردعه.. ولا تحزن على فراقي.. فإني ذهبت لأحارب في سبيل تحقيق السلام والأمان، واعلم إني ذهبت عند الله.. مت في سبيله وراحل إليه.

بكى والده وضمه بشدة قائلًا:

- ستعود يا بني.. حماك الله وملائكته.. وعد لتنجب أطفالًا أقوياء شجعان يكملون مسيرتك من بعدك، نحن محطات وليس هناك من يُخلد أبد الدهر.. لذلك علينا ترك أثرًا لتكملة المسيرة، وإن مات الحظرد فهناك الكثير سيحضر بعده، فمن يواصلون البحث عن القوة السوداء كثر ولن ييأسوا، ومن يواصلون البحث عن النجاة والقضاء عليهم كُثر أيضًا ويجب أن يكونوا من نسل أبطال مثلك ومثل الأميرة (بتول).

أمسك ظافر بيد بتول وبدأ رحلته معها إلى المجهول، سارا طويلًا على قدميهما في الصحراء القاحلة حتى حل الليل وأصبحت الصحراء ظلامًا دامسًا، أشعل ظافر المصباح ووضعه بجواره ثم قال:

- لنأخذ قسطًا من الراحة قليلًا يا بتول.. بالتأكيد أنت تشعرين بالتعب والجوع.. لنأكل شيئًا ما.

قطع جزءًا من الخبز بيده وأعطاها لبتول فأخذت منه قضمة ثم وقفت تفرك كتفيها من البرد.

وقف ظافر ووضع عباءته على كتفيها لتشعر ببعض الدفء.

ابتسمت له قائلة:

- أتعلم برغم كل ما مررت به، والحياة التي واجهتها ولم أتذوق طعم الراحة والسعادة يومًا بها، برغم الأهوال التي نمضي في طريقنا

لنواجها معًا.. إلا أنني أشعر بالأمان والراحة والسعادة بجوارك، لا أعلم يا ظافر إن لم تكن معي ماذا كنت سأفعل وحدي وهل سأكون بتلك الشجاعة.

وضع ظافر يده حول كتفها ثم نظر إلى السماء قائلًا:

- وأنا أيضًا يا بتول.. أطمئن بوجودك.. لكن أتدرين كنت لا أخشى على نفسي من شيء قط، حتى الموت أعلم أنه مقدر لي بأية لحظة.. لكنني بتُّ أخشاه فقط من أجلك.. حتى لا أتركك وحيدة بعدها.. أصبحت قويًّا بكِ.. أريد أن أنعم بأوقات من الراحة والسعادة برفقتك، أتمنى ألا يأخذني القدر منكِ وتصبحين بعدها مع أحد غيري.. يستيقظ صباحًا على جمالك وابتسامتك، ويغفو بين أحضانك.. أريد أن أكون أنا فقط بين يديكِ.. كم أصبحت أنانيًّا بفضل حبك يا بتول.

ملأت الدموع عينيها وضمته بقوة قائلة:

- لن أكون لغيرك يا ظافر حتى آخر لحظة بعمري، أعدك بهذا.. لن أكون.... سنعيش معًا وإن كتب لأحد منا الموت، فلنمُت معًا، عدني يا ظافر.

ضمها بقوة وهو يتنفس عبير شعرها قائلًا:

- أعدك يا بتول..

مر بعض الوقت.. وضعت بتول رأسها على كتف ظافر جالسين معًا أمام المصباح، وغفا ظافر لبعض الوقت، أغمضت بتول عينيها علها تغفو قليلًا ثم شعرت بحركة ما حولها فنظرت خلفها وهي

جالسة بجوار ظافر.. وجدت خيال فتاة ما على رمال الصحراء يتحرك على ضوء المصباح، همست لظافر:

- ظـــافر....

- ماذا يا بتول.. هل تشعرين بالأرق؟!

- ظافر هناك أحد ما يتعقبنا..

وقف ظافر ونظر حوله ولكنه لم يرَ شيئًا.

- أين يا بتول؟!... لا يوجد أحد غيرنا.. لا أرى شيئًا.

- ظافر أقسم لك.. لقد رأيت ظل فتاة خلفنا، بدا مخيفًا وكان يقف وكأنه ينظر إلينا ونحن نائمان.

- قلتِ فتاة؟!

- نعم يا ظافر فكان ظلها يبدو وكأنها صاحبة شعر طويل مشعث يتطاير مع نسائم الريح.

تنهد ظافر وعلم أنها لم تكن تتخيل ذلك ثم قال:

- لا عليكِ من هذا ولا تخافي أي شيء.. أوشكنا على الوصول لنرحل.

وصلا إلى مكانٍ قريبٍ من بئر برهوت وكانت الصحراء خالية من أي معالم حوله.. فقط أرض جرداء وأشعة شمس حارقة وأصوات مختلطة بين الطيور والحشرات وفحيح أفاعي يصدر من مكان ما وكأنه يصدر من داخل البئر.

وقفت بتول ونظرت حولها واضعة يدها أعلى عينيها لترى أي شيء ثم قالت بدهشة:

- المكان خالٍ تماما.. ظننت أننا سنجد بعض الحرس هنا لحراسة البئر أو نجد شيئًا ما يهاجمنا فجأة كالجن والشياطين والوحوش.

ضحك ظافر ممسكًا بيدها.. ثم اقترب من فوهة البئر الكبيرة قائلا:

- دون وجود الحراس لا يستطيع أحدهم الاقتراب من هنا يا بتول، حتى بدو الصحراء رعاة الغنم يصيبهم الذعر والهلع بمجرد الاقتراب ولو كانوا على بعد أمتار.

- لماذا يا ظافر؟!... لا أرى أي شيء مخيف هنا.

- بتول أنتِ في أشر بقاع الأرض وأهولها، هنا يسكن الجن السفلي والأفاعي السامة، هنا ماء نتن الرائحة إذا شرب أحدهم قطرة منه مات في الحال.. هناك كنز يحرسه هؤلاء الجان والشياطين، هناك أرواح شريرة تحوم به بالداخل معذبة تنتظر فريستها.

- لكن لا أرى شيئًا يا ظافر؛ فهو فارغ تمامًا، فقط بعض الطيور ألمحها وصوت خرير ماء يجري، انتظر... تقول إن من يقترب منه يصيبه الذعر والهلع وبه أشياء كثيرة مخيفة؟ لماذا لا تقاومنا الآن تلك الشياطين والأرواح فبالتأكيد تشعر بوجودنا....

- لا تشعر بوجودنا حبيبتي.

- كيف؟! ألسنا بشرًا كالبقية؟!

- بلى.. نحن بشر... أنسيتِ من يحمينا الآن ومن نحن.. (المعقبات) معنا تضع هالة حولنا لا يراها الجن والشياطين والأرواح الشريرة.

- هالة حولنا؟!... لا أفهم.

- حسنًا تعلمين قطعًا ماهية المس الشيطاني وأيضا الحسد الذي يصيبنا فيضرنا في أي شيء.

- نعم أعلم كل ذلك وذكره الله تعالى في كتابه العزيز لكن ما علاقة هذا بذاك؟

- حقًّا صدقتْ باهلة حين قالت عليكِ ثرثارة.

ضربته بتول في كتفه مازحة قائلة:

- وأنت أيضًا.

- هاهاها..... حسنًا يا ثرثارة نعود لحديثنا، كيف قام البعض بحماية أنفسهم من مس الشيطان والحسد؟؟!!

- كيف يا فارسي؟ بتلاوة القرآن؟!

- هذا لا شك فيه ولكن هناك أشياء نفعلها اقتضاء برسولنا الكريم.....

في رواية لمسلم "من أكل سبع تمرات مما بين لابتيها -يعني: المدينة - حين يصبح لم يضره سم حتى يمسي".

وعن عامر بن سعد عن أبيه ﷺقال: قال رسول الله ﷺ: "من تصبح بسبع تمرات عجوة لم يضره ذلك اليوم سم ولا سحر "

وعندما فسر العلماء سر السبع تمرات وجدوا أن من يأكلها يولد هالة زرقاء اللون حول جسم الإنسان ووجد أن تلك الهالة الطيفية ذات اللون الأزرق تشكل درعا واقيًا وحاجزًا مانعًا لعديد من الأمواج الكهرومغناطيسية اللا مرئية من الجن والحسد والسحر وخلافه والجن يصبحون غير قادرين على اختراق هذا الحاجز الذي ولدته الطاقة المنبثقة من العناصر الموجودة في التمر وخاصة عنصر الفسفور الغني بالإلكترونيات والتي تزيل الشحنات الموجبة التي يحبها الجن ومظهرها الإثارة والتهيج لدى الإنسان ومن المعروف أن لمركبات هذا العنصر إشعاعات تألقية فسفورية تدعم الطيف الأزرق وتمنع اختراق الجن لهذا الحاجز الطيفي في حين أن الجن والشياطين وأعين الحاسدين قادرون على اختراق كافة الأطياف والتعامل معها....

فهمتِ الآن.. نحن مثلهم يحيطنا هالة تصنع حاجزًا بيننا وبينهم تمنعهم من رؤيتنا.

- إمممممم.. فهمت.. غريب أن بعض الأمور البسيطة لو اتبعها البعض كل يوم قد تحميهم من مكروه ما يصيبهم ولكنهم يتجاهلون مثل تلك الأمور... أنا نفسي كنت أجهل تلك المعلومة الخاصة بالتمر يا عبقري.. بالتأكيد تعلمت كل هذا على يد والدك بسطام..... حسنا يا فارسي ماذا سنفعل الآن؟! أم نهبط لندخل البئر... أم سننتظر إلى أن ينقض علينا قدرنا.

- لا أعلم يا بتول ماذا نفعل، تبقى ساعات قليلة على وقت استحضار عبدول الحظرد، ولا أعلم نهبط بقاع البئر أم ننتظر بالخارج هنا..

- تعتقد أن جثمان عبدول يرقد في أسفل القاع؟

- لا أعتقد ذلك.. لأن بئر برهوت هو مجرد مدخل للأراضين السبع وأعتقد أن هناك بالأسفل دهاليز وممرات متصلة بمكان آخر به عبدول.

- حسنا يا ظافر أثرت فضولي لنهبط إلى الأسفل.. أين الحبال؟ اربطني به أولا لكن أحذرك إن أفلتني فلن أرحمك..

- لا يا بتول سأهبط أنا أولًا وسأربط الحبال بحجرٍ كبيرٍ هنا لأتفقد المكان حتى أطمئن أنه لا يشكل خطورة عليكِ.

ربط ظافر حبلًا سميكًا كان بحوزته بحجر ضخم بجوار البئر وأمسكه بشدة وبدأ يتدلى إلى الداخل، وبعد هبوطه بثلاثة أمتار فقط وجد بتول فوق رأسه متشبثة بالحبل.. همس ظافر:

- بتووووول، لماذا لم تنتظري حتى أهبط أولًا.. ألم أحذرك؟!

- لن أتركك وحدك يا حبيبي حتى ولو في الأهوال.. إما أن نحيا معًا أو نموت معًا.

في أثناء نزولهما كانا يسمعان أصواتًا غريبة كالأنين والطنين والصفير والرائحة النتنة، كلما هبطا أمتارًا قليلة تزداد شدتها وكادا أن يصابا بالغثيان.

أمسكت بتول رأسها بإحدى يديها لشعورها بالغثيان وفجأة سقط من على ظهرها رمحها.

صرخت: الرمح.....

***

وقفت سهر تصرخ داخل الكهف الأبيض:

- أين همـــا؟! كيف ذهبـــا بتلك السرعة؟!! من أخبرهم بقدومنا فأسرعوا في نفس اللحظة.

صاح مكرب بغضب:

- بالتأكيد زوجك الغبي شاهين، استرق السمع لنا وعندما علم بأمر بتول وقتلها سبقنا وأخبرهم.

- لا يا مكرب... غير منطقي.. الوصول إلى هنا يحتاج يومًا كاملًا.. وإن سبقنا يسبقنا بخطوات، وإن حدث ذلك بالفعل لوجدناهم بأي مكان قريب.. لقد قام الحرس بتفتيش كل مكان حول الكهف ولم يجدوا لهم أي أثر.. ونحن في وضح النهار وفي قلب الصحراء فلا يوجد شيء ما يختبئون خلفه... كيف فعلوها وإلى أين قد ذهبوا؟ مكرب، حاول استخدام أي تعويذة أو طلاسم أو صلاة تمكننا من معرفة أي شيء...

- هاهاهاها.... لا شيء له قيمة الآن يا سهر... الملك مكرب أصبح مجرد رجل عادي صاحب بنية ضخمة ليس إلا...

- يا ويلي يا مكرب لقد أصبحت أيضًا بلا عقل يفكر أخي العزيز...

- حسنًا تركت الذكاء والدهاء لكِ أختي الغالية المتسببة في كل ما نحن فيه الآن.

- لقد ذكرت من قبل أن بعلزبول سيقوم باستحضار الحظرد في الموعد المحتوم...

- نعم سيفعل ذلك.

- والنبوءة تقول إن المخلص يستطيع دفنه مرة أخرى في اليوم المحتوم عند البلوغ التام...

- نعم هو كذلك... ماذا بعد؟!

- الموعد المحتوم بالنسبة للشيطان هو عند وهج النجوم واكتمال القمر في يوم ساكن.. أما موعد النبوءة واليوم المحتوم عند البلوغ التام هو يوم مولد بتول وتيماء..

صاح مكرب:

- وما علاقة هذا بذاك أيتها البلهاء؟!

- لا تصرح بوجهي يا مكرب... لم تعد قويًّا لتفعل ذلك وأهابك كالماضي... حسنا سامحني على صياحي فيك ولكن افهمني.. بعد ثلاثة أيام ستكمل كل من بتول وتيماء الحادية والعشرين وهذا يوم البلوغ التام الذي من المفترض أن يُقتل به عبدول.... واليوم يا مكرب هو يوم وهج النجوم واكتمال القمر الذي كان سيتحتم فيه وجود تيماء لعودة جدها الحظرد.

- معكِ حق يا سهر.. والشيطان لا يحتاج إلى تيماء حتى يعيده فهو من قام بنفيه..

- بل يحتاج إليها يا مكرب.. سيكوّن بها اتحادًا قويًّا لشيء مفزع يدمر به العالم، نسل الشيطان والشيطان يد واحدة.. لك أن تتخيل....

- حسنا ماذا سنفعل الآن إن لم ننتقم من كهنة الكهف الأبيض ونقتل بتول؟!

- يا غبي.. هم على علم بكل تلك الأمور.. والجميع الآن هناك في بئر برهوت.. سيحاولون الحول بين الشيطان والحظرد وحماية بتول وظافر... هيا بنا بسرعة إلى هناك قبل أن يفوتنا الحدث الأعظم.

ركض سهر ومكرب ومعهم الحرس إلى بئر برهوت لحضور واقعة عودة الشيطان (عبد الله الحظرد) والقضاء على بتول وكل القوى المضادة لكسب رضاء الشيطان مرة أخرى.

***

صاحت بتول وهي ممسكة بالحبل بقوة:

- ظافر ماذا سنفعل؟ سقط الرمح وأكاد لا أرى شيئًا بالأسفل سوى الظلام.. أخشى أن يعثر عليه أحد من الشياطين أو الجان.. ليس لدينا أي شيء ينير لنا الكهف في هذا الظلام الدامس.

رفع ظافر رأسه ليراها وهي ترتعد ثم قال بهدوء:

- لا ترفعي صوتك، الصوت يسري بداخل الكهف.. معكِ حق.. كان يجب علينا حمل المصباح حتى ينير لنا الطريق.. بتول لتصعدي للأعلى مرة أخرى فأنا لن أستطيع فعل ذلك لأنك تعيقين طريقي للخروج.. وأحضري المصباح بجوار فوهة البئر.. وأنا سأواصل الهبوط حتى أعثر على الرمح وسأنتظرك بالأسفل.

صاحت بتول:

- لا يا ظافر.. أرجوك اصعد معي.. لن أطمئن عليك وحيدًا هنا حتى ولو للحظات.. اصعد رجاء..

قال ظافر بحدة وغيظ:

- لا تجادلي يا بتول.. نحن نضيع وقتنا ومجهودنا هكذا.. ويجب أن أعثر على الرمح سريعًا سأتحسس مكان سقوطه لا تخافي.. هيا اصعدي بسرعة.

وما إن ارتفعت مترًا واحدًا محاولة الصعود فجأة اهتز المكان بشدة وحدث ضجيج عالٍ صرع الطيور داخل البئر فأخذت تطير بجنون حول ظافر وبتول مع صوت فحيح الأفاعي العالي

صرخت بتول:

- اذهبي بعيدًا أيتها الطيور المزعجة.. ظـافر.. الحبل يهتز بشدة.. أفقد قواي..

- تمسكي بقوة يا بتول؛ لا أعلم ماذا حدث.. لاااااا.. بتـــوووووول.

سقطت بتول من أعلى وأفلتت الحبل.

ما زال البئر يهتز بشدة وتعالت أصوات صريخ عالية.. علم ظافر أن شيئًا ما عظيمًا يحدث وأخذ ينادي على بتول لكي تصدر أي صوت يطمئنه عليها.. فأسرع بالهبوط إلى الأسفل.

في داخل ممر طويل ببئر برهوت، وقف الشيطان أمام حائط صخري محاطا بعدد مهول من الأفاعي الضخمة الملونة.

أحكم إبليس قبضته ثم ضرب الحائط أمامه فانفجر حتى تفتت تماما، ثم ظهر من خلال الحطام غرفة واسعة يملأها الضباب والرمال.

دخل إبليس الغرفة وصاح قائلًا:

- اكتفيت من التعذيب يا عبدول أم تريد المزيد منه؟

في ركن ما في الغرفة وعلى حجر كبير صخري، يجلس رجل عجوز مخيف، وجهه مجعد، شعره طويل أشعث لونه أبيض، شاربه يتدلى على فمه ويلتصق بذقنه التي تكاد تصل إلى صدره، ملابسه ممزقة تماما تغطي أجزاء بسيطة من جسده، تفوح منه روائح كريهة كرائحة الجيف المتحللة.

صاح بعلزبول:

- قف يا عبدول وأرني نفسك.

حاول عبدول الوقوف ولكن جسده النحيل لم يساعده بالقدر الكافي..

ضحك إبليس بصوت عالٍ ومخيف:

- ماذا.. ألم تغذِّك الحشرات والديدان بالقدر الكافي.. وماء بئر برهوت الأسود لم يروِ ظمأك؟

وقف عبدول فجأة ونظر بعينيه الجاحظة المخيفة إلى بعلزبول قائلا بصوت أجش ومزعج:

- تسخر من الحظرد يا خادمي.. ما زال الحظرد بكامل قوته أيها الغبي ولكن تلك الأعوام بلا حديث أو حركة أو رؤية بعض الضوء جعلتني مريضًا بعض الشيء...

- هاهاهاها... ما زلت تكابر بعد كل هذا؟!... عجبًا لك.. بدلا من أن تتوسل لي وتطلب مغفرتي تحاول مجادلتي.

صاح عبدول:

- لماذا أتيت الآن؟!.... ستقتلني أخيرًا، أم تشعر بالشوق إلى سيدك عبدول هاهاهاها....

اقترب بعلزبول منه بغضب محملقًا في عينيه قائلا:

- لولا أنني أحتاج لوجودك معي ما كنت بقيت على حياتك لحظة وجعلت الوحوش تلتهمك كما زعم البعض منذ زمن..

- حديثك يعني أنك نويت الإفراج عني والظهور مرة أخرى للعالم!!....

- نعم عبدول ولكن بشروط..

- ما هي؟

- أن تقر وتعدني بالطاعة وتنفيذ كل ما آمرك به.. أن نتحد معًا لنرهب العالم ونقضي على كل من يتحدانا.

صمت عبدول قليلًا يفكر ثم قال:

- حسنًا.. أوافق.. لكن لماذا الآن.. هناك شيء ما حدث معك لتفعل هذا.. على الرغم أنني كنت على ثقة بخروجي في يومٍ ما وانتظرت طويلًا هذا اليوم.. أتباعي ينتظرون حضوري بلهفة.

- وأنا أريد تدمير بعض من أتباعك.. الملك مكرب ظن أنه سيحتال علي ويعطيني فتاة من نسلك ويخرجك هو ليحظى بعدها بكل علمك وقوتك، يظن أنه قد يستطيع الحصول على قوة وملك سليمان.. وغد كبير سألقنه درسًا لن.....

قاطعه عبدول:

- انتظر... أتقول فتاة من نسلي.. كيف؟! لم يكن لي نسل أبدًا وعشت وحيدًا طوال فترة حياتي.

- أنسيت يا عبدول.. زوجتك!

- لا، ولن أنساها ولكن زواجي منها كان أيامًا معدودة ثم قمت أنت بنفي بعدها ولم أهنأ بها.

- تلك الأيام تركت بداخلها نسلك.

- لدي ولد يا بعلزبول؟ يشبهني؟ صحيح.. يمتلك قوتي وعلمي وسحري ويبحث عني الآن!

- هاهاهاها.. بل حاولت ريما بكل الطرق إبعاده عن علمك ونهجك وأصبح العدو الأول لك.. لكنه مات مقتولًا على يد صاحبه.

صاح عبدول:

- إذن فأين هو نسلي هذا ولماذا تخبرني وتسير غضبي؟!

- لديك أحفاد يا عبدول.. هاهاهاها....

لمعت عين عبدول وابتسم قائلا:

- أحفاد؟ وليس حفيدًا واحدًا.. أين هم وما أسماؤهم؟!

- فتاتان.. (بتول) و(تيماء).. إحداهما دليلك والأخرى مصيرك.

تعجب عبدول قائلا:

- ماذا تعني؟

- تيماء هي من كان المخول لها إخراجك من هنا.. بتول هي المخول لها بالقضاء عليك.

- كيف تقضي عليّ وأنا جدها.. لمَ ليست مثل شقيقتها تيماء؟!

- "عندما تزوج ولدك طاهر بأمهما وضع نطفته في رحمها، ثم انقسمت البويضة إلى اثنتين، إحدى تلك البويضات كان بها نطفة من الشيطان، كانت النسل الشيطاني ما زال موجودًا ويجري بدم طاهر، والنطفة الأخرى كانت منقحة تمامًا من أي شر..

ذكرت النبوءة أن عودتك على يد النسل الشيطاني، وأن شق صدرك على يد النسل الأبيض.

- أحضرهما لي يا بعلزبول.. أريدهما معًا، وبالأخص (تيماء) سأورثها كل علمي وسحري وشري...

- أمممممم... لا تقلق ستكون عندك.. ولكن أريد أن يعلم الجميع بحضور الحظرد الآن، فإنه التحدي الكبير، وسوف يأتي أحدهم ساجدًا لي قريبًا.. أرني بعض قوتك الآن عبدول.

- بل سأريهم كيف يخرج عبدول برعب لم يروه من قبل....

حملق عبدول بعين الشيطان ثم أغمض عينيه قليلًا وصاح فجأة بصوت مخيف:

" ألا أيمالا ألا أيمالا، الوئام في الهواء ولا سلام على الأرض، جاء الحظرد، صاح الزمن، عاد الآن، أين الجان، أرض تأن فأخرجي (المن) و(الدن) و(البن) بحر يموج، ماء ممزوج بدم ليخرج منه (الحن) و(الخن) ليذعر ويرتعد الإنس، فليخرج لهم (النس) لا تتمرد لا تتمرد، غرد فقد جاء الحظرد، جـــاء الحظرد "

قاطعه صوت ما:

"أرجوووووك، لا تفعل.. لا تستحضر تلك المخلوقات السافكة للدماء"

صاح بعلزبول:

- أنت..... كيف وصلت إلى هنا وكيف لم أشعر بك؟!

توقف الحظرد فجأة عن إكمال تعويذته:

ليخرج (المن، والبن، .....)

اندهش الحظرد فمن هذا الفارس الشجاع الذي تجرأ للدخول إلى بئر برهوت ومواجهة أهواله... قال عبدول مقتربًا منه:

- من أنت لتوقفني؟!

صرخ الشيطان:

- إنه من تحداني هذا الغبي الضعيف وأتى اليوم ليمنع حضورك أو ليقتلك، فلنريه معًا كم هو ضعيف، هيا يا حظرد أكمل.

أشار إليه ظافر ليتوقف قائلا:

- أنت لا تملك شيئًا ثمينًا لتستطيع التحكم في تلك المخلوقات عند استحضارها، تذكر...

صمت الحظرد قليلًا ثم نظر إلى بعلزبول قائلًا بحدة:

- أين كتــابي؟ أين العــزيف؟!

ضحك ظافر بسخرية قائلا:

- إنه بحوزتي..... وحفيدتاك بحوزتي (تيماء وبتول).... إذا أتممت طقوسك ستهلكان وسأحرق مخطوطك.

قال أحدهم فجأة:

- ها هي (تيماء).. فكيف تكون بحوزتك؟! هاهاها... غبي.

ظهر مكرب وسهر ممسكين بقوةٍ فتاة سمراء جميلة.

صرخ ظافر:

- بتـــول.. لا.. اتركوها.. أرجوكم دعوها ترحل وأنا هنا معكم.

ضحك بعلزبول قائلًا:

- أحسنت يا مكرب.. سأفكر في أمرك مرة أخرى.

سار الحظرد خطوات بطيئة تجاه الفتاة مبتسمًا قائلًا:

- حفيدتي، كم أنتِ جميلة كجمال جدتك.. تعالي إليّ بين أحضاني..

ابتسمت الفتاة ثم اقتربت منه وابتعدت فجأة مشمئزة من رائحته الكريهة قائلة:

- جدي هل تستحتم أولا؛ رائحتك نتنة ومقززة.

ضحك الحظرد بصوت عالٍ.. فصاح بعلزبول بغضب:

- أتتسامران وتضحكان تاركين كل ما يحدث الآن؟

قاطعه مكرب:

- اسمح لي سيدي بقتل ذاك الأحمق ظافر.....

قاطعته سهر بغضب:

- أقسمت ألا يشرب من دمه أحد غيري.....

صاح ظافر:

- عبدووووول.. إذا قتلني أحدهم لن تجد العزيف أبدًا وأنت لا تستطيع التخلي عنه.

صاح عبدول بغضب:

- أين كتـــاااابي أيها الفتى؟!

- ليس معي الآن.. أخبئه في مكانٍ آمن، سأحضره إليك إذا قمت بحمايتي منهم وسأكون أيضا طوعًا لك بعدها.. لكن رجاء لا تؤذِ بتول فإنها حبيبتي.

صاح مكرب:

- لا تصدق كلام هذا المراوغ يا عبدول، فعل ذلك مع إبليس ونجا من الموت وتحداه والآن يتحداك ليكسب بعض الوقت..

نظر عبدول إلى ظافر بخبث ثم قال:

- أمامك يومان لتُحضر (العزيف) وإن لم تحضره سأُخرج كل تلك المخلوقات وتغزو العالم ويعم الدمار في كل مكان، أما عن أحفادي وجدت واحدة وأنت ستحضر لي الأخرى معك.

صمت الجميع ناظرين إلى بعضهم بعضًا، ثم صاح إبليس:

- لقد خسرت يا ظافر.. استعد للهزيمة والسجود لي حين تأتي بالعزيف.. هاهاهاها.

قال عبدول عندما رأى "ظافر" يخرج من غرفة البئر:

- تذكر يا فتى، يومان فقط، سأكون بكهف برهوت مكاني المفضل قديمًا، سأنتظرك هناك في غرفة الاجتماع.

صاحت الفتاة:

- ظافر، لا تتركني معهم، خُذني معك أرجوك، أشعر بالخوف وتكاد دقات قلبي تتوقف.

- سامحيني حبيبتي، لا يسعني فعل شيء الآن، لكن أعدك بأن أعود لإنقاذك...

عاد بين الممرات باكيًا محدثا نفسه: "لم أستطع فعل أي شيء، فجأة اختفى الرمح واختفت بتول وظهر هؤلاء الأشرار، لم يرشدنا أحد عن كيفية التصرف، ولكن استطعت منع عبدول من استحضار تلك المخلوقات المتوحشة مؤقتًا حتى أجد حلًّا، العزيف مع والدي وعليّ بالإسراع، فإذا لم أرجع قبل يومين سيقتلون بتول لأنها ستتم الحادية والعشرين، وأين (تيماء) تلك.. أين؟!".

جلس الأشرار داخل كهف برهوت يتحدثون:

- أرأيت يا مكرب، سهر هي من خططت وستعيد إليك قوتك وفي وقت قريب.. لم يتبقَّ سوى يومين.. وقدمنا للحظرد حفيدته كهدية ليثق بنا.. عليك الآن التحدث معه وإقناعه بالاتحاد معًا لتتعلم منه كل شيء، هيا قم فإنها فرصة في غياب بعلزبول. وبعدها تقتله وتتخلص منه.

ابتسم مكرب قائلًا بخبث:

- غاب بعلزبول واحتل مكانه إبليس آخر اسمه سهر.

دخل مكرب غرفة الاجتماع التي يجلس بها الحظرد، كان منهمكًا في كتابة شيء ما.

- ماذا تفعل يا عبدول؟!

- أحاول تدوين كل ما أتذكره من بعض التعاويذ.

- لديك شك أن "ظافر" لن يحضر بمخطوط العزيف؟!

- بل يجب عليه أن يأتي أولًا لحماية البشرية من مخلوقاتي المطيعة ثم لحماية حبيبته.. أين هي؟

- لا تقلق لقد قيدناها بغرفة صغيرة في الكهف حتى لا تقوم بالفرار مرة أخرى، أمسكت بها بأعجوبة من أجلك.

- من أجلي أم من أجل إبليس؟!

- عبدول.. إبليس لا يعنيني ولست مهتمًّا بوجوده معي.. طوال تلك الأعوام كنت أبحث عنك أنت، لا أريد غيرك..

- ولماذا!!؟.....

- لأن القوة الأكبر لديك أنت، فأنت من روض الوحوش وتكلم معهم وخضع لك الجان وعلمت أمورًا كثيرة ماضية وأعتقد أن لديك علوم الحاضر والمستقبل، أتمنى أن أحظى بجزء من علمك وسحرك ونجعل بعلزبول خاضعًا لنا، يجب أن تعاقبه على نفيه لك كل تلك الأعوام في هذه البئر.

- معك حق يا مكرب، أخبرني بنفسه بأنك كنت تنوي مقايضته بحفيدتي حتى يخرجني من المنفى.

- حسنًا نحن متفقان الآن، لكن إذا فقدت مخطوط العزيف، هل يمثل هذا خطرًا عليك؟!

- بالطبع يا مكرب، العزيف هو علم سنوات طويلة وفيه طلاسم لا يستطيع أحدهم فكها وقراءتها إلا بمفاتيح خاصة أنا فقط على علم بها.

- علمت ذلك فلقد حاولت مرارًا وتكرارًا فك الرموز ولكن دون جدوى وأخبرني بعلزبول أن المخطوط بلا قيمة في عدم وجود سحره وسلطته عليه.

- هاهاهاها... هل صدقته؟!

- نعم صدقته.. فقد سلبني كل قوتي.. ولذلك تركت الكتاب لظافر على أساس أنه أصبح مجرد أوراق فارغة.

- يا عزيزي.. بعلزبول فعل ذلك لأنه يخشاه، قوة هذا الكتاب تجعله هو والجان والمخلوقات المتوحشة عبيدًا عندي.. لقد كان يخشاك وسعيدًا بالتحرر بعيدًا عني وظن أنك ستفعل ما كنت أفعله، ما يدهشني هو ذاك التحدي بينه وبين الشاب ظافر، لماذا كابر وخاض هذا التحدي غير العادل والمعروف نتيجته، ولكن جاء هذا في صالحي لألملم شتاتي مرة أخرى.

- حسنًا، اتفقنا.. لنكن معا ونقوم بإخضاع بعلزبول. ولكن نحصل على العزيف أولا ثم نخطط للبقية.

عاد ظافر إلى كوخ باهلة حزينًا، جلس الجميع في حالة من القلق والحزن.

سأل ظافر والده:

- أبي.. هل مخطوط العزيف ما زال بحوزتك!

- نعم يا بني.. أحتفظ به ولكن هل تنوي فعلًا تسليمه للحظرد، لقد شعرنا بحضوره واهتزت الأرض في تلك اللحظة المشؤومة داعيين أنك وبتول ستوقفانه وتقوما بقتله.

- الأمر أكبر مني يا أبي، ووقفت مكتوف الأيدي بعد اختفاء بتول والرمح أسفل البئر.. ليس لدي الكثير من الوقت الآن.. أعطني المخطوط لأذهب به إلى عبدول قبل أن يحرر المخلوقات الشريرة.

نظر الكاهن بسطام إلى باهلة فأومأت برأسها حتى يُحضر المخطوط له.

دخل والده لحظات بالكوخ ثم خرج بلفافة صغيرة ووضعها بين يدي ظافر قائلًا:

- ذاك هو.. انتبه على نفسك بني واحذر من هؤلاء الأوغاد.

نظر ظافر إليهم في دهشة قائلًا:

- ألن يقول أحدكم أي شيء.. نصيحة مثلا أو ما شابه؟!

حرك الجميع رأسهم بالنفي، فوقف ظافر في قلق من أمرهم وتركهم ليعود إلى كهف برهوت.

في اليوم الموعود وصل ظافر إلى مكان الكهف ثم وقف بعيدًا عنه ببضعة أمتار يفكر: "ماذا يا ظافر؟! ستسلم المخطوط وبعدها ماذا ستفعل؟، ولم تحضر الفتاة الأخرى لأنك لا تعرف أين هي.. لكن انتظر أتتذكر.. بينما تكون بتول حاضرة تصحبها تيماء فهي معها كظلها ولكن أين.. تبدو كالطيف الذي يتخفى حولنا وكأنها ليست من البشر، ماذا ستفعل يا ظافر؟ أتهاجمهم وحيدًا.. سيقضون عليك حتما.... اللهم أنت ربي وحدك أعني فلا ملجأ لي سواك ولا حامي سواك ولا مدبر للأمر سواك، اللهم نجاة".

استوقفه حرس مكرب بالخارج فلما أفصح عن نفسه أذنوا له بالدخول، وجد سهر أمامه فكان كل من مكرب والحظرد يجلسان معا في غرفة الاجتماع.

ابتسمت سهر بخبث حين رأته وقالت ساخرة:

- أتيت بالمخطوط وحيدًا وتعلم أن نهايتك هنا، كل ذلك من أجل ماذا! تلك الفتاة الغبية التي أحببتها.. تركت سهر وحب سهر وكنوز وقوة سهر من أجل فتاة ضعيفة ستلقى حتفك بفضلها.... لو كنت تبعتني من البداية وتركت تلك الأمور.. لكنت فارسًا عظيمًا الآن وتصبح لديك قوة بجانب قوة ذكائك تفعل بها كل ما تتمنى، ستدفع نتيجة تصرفاتك وخيانتك لي اليوم يا ظافر حتى يعلم الجميع أن الاستهانة بسهر وأخيها مكرب حتما تؤدي إلى الهلاك.

سار إليها بضع خطوات وقال منكسًا رأسه:

- معكِ حق يا سهر، لقد تصرفت بحماقة وتركتك وقمت بخيانتك، لقد ذهبت إلى والدي كبير كهنة الكهف الأبيض ظانا أنه سيقوم بدعمي ومساعدتي هو والعجوز باهلة ولكن صدمني رد فعلهم، وجدتهم صامتين تاركينني أواجه مصيري المحتوم وحدي دون تقديم أي مساعدة أو دعم منهم.

ضحكت سهر بصوت عالٍ قائلة:

- أعلم أيها الغبي بكل ما حدث، لقد تتبعك أحد رجالنا حتى يعرف المكان الذي يختبئ به هؤلاء...كان يجب علينا معرفة ذلك وهذا كان السبب الأول الذي تركك بعلزبول من أجله ترحل.. يجب

أن نقضي على القوى المضادة تمامًا حتى نطمئن ألا يعيقنا شيء آخر بعد ذلك... لقد أرسلت إليهم جميع أعواننا من الحراس والأتباع ليقوموا بذبحهم جميعًا وتقديمهم كقربان للشيطان ليعيد لنا قوتنا ويثق بنا من جديد، فماذا أنت بفاعل الآن أيها الضعيف؟!

صمت ظافر قليلًا محدثا نفسه: "الآن فهمت لمَ كنت يا أبي صامتًا ولا تتفوه أنت وباهلة بكلمة حين رأيتموني.. كنتم على علم بأن هناك من يتتبعني، أتمنى أن تنجو أنت وباهلة وكل من معك وأن يحفظكم الله".

نظر إلى سهر وتوجه بخطوات هادئة نحوها أثناء جلوسها على كرسي ضخم.. ثم جلس على الأرض على إحدى ركبتيه أمامها متوسلا لها:

- سهر.. لقد علمتُ خطئي الآن وندمت أشد ندم على فعلتي ولم يعد لي أي شيء أبكي عليه وأعلم أن مصيري كبقية أصدقائي وأهلي هو الموت، أيمكن الحصول على فرصة واحدة أخرى؟!

ضحكت سهر بصوت عالٍ قائلة:

- وهل سأصدقك الآن لتخدعني مرة أخرى.

- سهر.. يجب أن تثقي بي مجددًا.. لمن سأعيش وأغامر بحياتي.. ومن الواضح أن المستقبل معكم ولكن لن أسجد لذلك المقزز بعلزبول، يمكنني فعل ذلك لأجلك أنتِ فقط، حتى أخوكِ مكرب لا يستحق الولاء والخوف منه، أنتِ من يخطط ويدبر وينفذ، جسد جميل وعيون جريئة وذكاء لا مثيل له، فلماذا لا نحصل على كل تلك القوة أنا وأنتِ فقط.

شردت سهر في كلامه وكأنه أقنعها بوجهة نظره وبخوفه من الموت، جعلها حبها له تفكر في الأمر بجدية، فأخوها يعاملها دومًا كالجارية البلهاء ويملي عليها أوامره وكانت تخشاه بشدة.

نظرت إليه قائلة:

- ظافر، سأمنحك فرصة ثانية لكن أعدك إن خذلتني تلك المرة فلن أرحمك، سمعت ظافر لن أرحمك.

ابتهج ظافر وأمسك بيدها يقبلها فابتسمت له بحب قائلة:

- ليس أمامنا الكثير لنجلس معًا.. اليوم يجب أن ينتهي كل شيء.. ليس أمامي خطط محددة، لكن كل ما أريدك أن تفعله هو استخدام ذكائك والتخلص فورًا من مكرب وبتول ثم نرى بعدها ما يسعنا فعله مع الحظرد وبعلزبول.

- ألن نتخلص من الحظرد أيضا؟!

- لاااا أيها الغبي.. نحن نحتاج إليه هو والعزيف، قم بمراوغته به.. وإقناعه بأن مكرب يريد خيانته وأنا سأساعدك في ذلك فهمت.

- نعم فهمت حبيبتي سهر.. أين بتول؟

ضيقت سهر من عينها قائلة بخبث:

- مقيدة هنا في غرفة صغيرة.. ماذا تريد منها؟!

ارتبك ظافر ثم قال:

- لا شيء.. متى سأقتلها؟!

- اليوم ظافر.. سأحضرها لك لا تقلق.

خرج مكرب من الاجتماع قائلًا بغضب:

- أنت هنا أيها المخادع... أين العزيف؟!

- ها هو.. لقد أحضرته؟

تحرك مكرب تجاهه مسرعا ليأخذه منه، فركض ظافر ممسكًا أحد المشاعل من على الجدران وهدده إن اقترب منه سيحرقه.

توقف مكرب في غيظ وغضب، ثم قال ظافر له:

- أريد مقابلة عبدول الآن..

أشار إليه بالدخول لغرفته وحاول تتبعه فأوقفته سهر قائلة بخبث:

- دعه يدخل وحده.. سيتكفل به عبدول دون حدوث ضوضاء وسيسلط عليه بالتأكيد أحد الجان ليقتله.

دخل ظافر على عبدول وكان ما زال يحاول تدوين بعض الطلاسم على ورق أمامه.

- ليس عليك فعل ذلك يا حظرد.. العزيف معي...

شعر عبدول بالسعادة ووقف ليتسلمه منه وقبل أن يعطيه إياه قال ظافر:

- انتظر سيدي.. أريد أخبارك بأشياء مهمة قبلها.

صاح عبدول:

- ماذا هناك، تحدث؟

- أود أن أكون معك وخادمًا لك واعفُ عني ولا تتركهم يقضون علي، سيدي أنا لم أفعل شيئًا يضرك بل على العكس تماما، لقد قمت بحماية حفيدتك في حين إن مكرب وسهر وإبليس خططوا مرارًا لقتلها وفشلوا بسبب حمايتي لها، لقد ترك مكرب العزيف وألقى به على الأرض وكأنه شيء بلا قيمة، فحملته أنا وحافظت عليه حتى أتيتك به، لقد تحداني بعلزبول لأنني رفضت تقديم طاعتي وولائي له، وكان يريد نفيي إلى نفس المكان الذي كان يعذبك به.. أتدري لم أمانع ليس ضعفًا مني ولكن كنت متشوقًا لمقابلة الأسطورة عبدول الحظرد ومحاولة مساعدته على الهروب من أجل أحفاده، الجميع يخططون للخلاص من الجميع، الجميع يسعون للحصول على القوة والسحر والمعرفة.. أتعلم.. أقسم لك أنهم سيقومون بالتخلص للمرة الثانية منك فور الحصول على مبتغاهم.

نظر عبدول إليه بغضب قائلا:

- الحظرد لا يحتاج لولاء أيا منكم جميعا.. وبتُّ أشك في الجميع وسأقوم بالتخلص منكم واحدًا تلو الآخر.. سأعيد مجدي وحدي وسيكون أتباعي هم الجان والوحوش وجميع الكائنات الحية. أعطني العزيف هيا.

أمسك ظافر بالشعلة قائلا:

- لا تقترب وإلا أحرقته.

زاد فحيح الأفاعي حولهم متخذين وضع الهجوم حول ظافر، وزمجر عبدول بصوت مخيف فاهتز الكهف بشدة وتساقطت بعض الحجارة بداخله.

أخذ عبدول يردد بعض الكلمات العجيبة بصوت عالٍ وفجأة ظهر بجواره بعلزبول بهيئته الغاضبة المخيفة.

- حضر الشيطان، هل حصلت على العزيف يا عبدول؟!

نظر عبدول إلى الشعلة التي يمسك بها ظافر. ضحك الشيطان قائلا:

- أتخشاه يا عبدول.. انظر حوله.. الجان يحاوطونه من كل مكان.. لن يستطيع فعل شيء..

ضحك ظافر بسخرية:

- أنتم من نار، لكنكم تخشونها لأنها مثواكم في الجحيم، ولأن تلك الشعلة الصغيرة يمكنها التهام هذا المخطوط في لحظة.. إذا اقترب أحد الجان أو الإنس مني سأحرقه.

صاح عبدول بخوف:

- لا.. ظافر لا تفعل هذا.

- ولماذا لا أفعل عبدول ففي كل الأحوال أنا ميت، على الأقل أفعل شيئًا مفيدًا يحرقكم قبلها.

- حسنا اهدأ، ماذا تريد؟!

صمت ظافر قليلا ثم قال بخبث:

- أي تعويذة في هذا المخطوط تصرف الشيطان أو تحرقه هو وأتباعه من الجن السفلي.

أمسك ظافر العزيف بقوة واضعًا الشعلة أسفله متحسبا لأي غدر منهم.

صاح بعلزبول:

- لن أسمح بتلك المهزلة من بعض بني آدم تحدث أمامي، فليحترق العزيف ولتحترقوا معه.

صرخ عبدول:

- أنت أضعف من أن تتحرك خطوة دون إذن مني.

ضحك ظافر بسخرية:

- هذا ما كنت أحاول توضيحه من قبل، لا توسوس لأحد بفعل شيء إلا إذا أذن لك بذلك وكان إيمانه ضعيفا ولديه استعداد لاتباعك، دون ذلك أنت بلا فائدة وبلا قوة، مجرد كيان بغيض تحرقه آية... أتعلم لا أحتاج لتعويذة أو لطلاسم أو حتى لهذا المخطوط كي أحرقك أو أصرفك.. أنا فقط أحتاج لإيماني بالله ولآياته الكريمة... أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم.. بسم الله الرحمن الرحيم.

أخذ ظافر يردد آيات القرآن الكريم من سورة (الناس) وآيات من سورة البقرة بصوت عالٍ هز أركان الكهف.

تعالت صرخات بعلزبول ووقف عبدول يشاهد ما يحدث في ذهول..

صاح ظافر بصوت مرتفع:

- فلتذهب إلى الجحيم الذي أتيت منه، وقم بأذية ضعاف القلوب، سكان جهنم فيما بعد.. الكافرين، المذنبين... القاتلين والحاسدين والزانين وغيرهم..... اذهب بعلزبول وليجعل الله بيننا وبينك حصنًا منيعًا إلى أبد الدهر وليحفظ عباده الحامدين الساجدين السائحين التائبين.

صرخ بعلزبول عاليا وعاليا حتى ظهر حول جسده ذات اللون الأحمر سلاسل ضخمة ملتهبة كالحمم البركانية.. وفجأة اختفى من أمامهم.

نظر إليه عبدول بغضب قائلا:

- لقد استهترتُ بقوتك أيها الفارس، من أين لك بكل تلك الثقة.

أشار ظافر بيده تجاه قلبه قائلا:

- من هنا، حيث يسكن ربي، حبه بداخلي، ثقتي في حمايته التي تغشاني لا تنتهي، أنتم قوم ضعفاء يا عبدول.. أنت وكل أمثالك، تظن أنك قوي، انظر إلى نفسك، رجل بغيض كريه الرائحة والمنظر، هام في الأرض واختلى بنفسه سنوات وشهورًا وأيامًا يعيش بين الجن والشياطين والمخلوقات المفسدة في الأرض، باحثا عن القوة، القوة التي كنت تملكها ولا تعرف قيمتها من قبل، في جمال ريشتك التي كتبت بها أشعارك، في حب الناس لك كأشهر شاعر عربي، جن جنونك بالعلم وبحثت في الخفايا والماورائيات، وفقدت الكثير، الكثير من الأشياء الجميلة والثمينة كحب الله ورسوله، كحب الناس، كالرضا والنعيم بالراحة والأمان، كإحساس الدفء في بيت

صغير أو كبير مع زوجة وأولاد وأحفاد يلهون حولك ويرتمون بين أحضانك، لقد عشت طوال حياتك محرومًا من كل هذا ومعذبًا في منفى الشيطان وستموت محرومًا من نعيم الآخرة، معذبًا مع أتباعك في نار جهنم، أنت لا شيء يا عبدول وهؤلاء الجن لا شيء والشياطين والمخلوقات الشريرة لا شيء، لا تفعلون أي شيء إلا بأمره وأمره (بين الكاف والنون) فإذا أراد شيئا يقول له كن فيكون.. فستكون مخلدًا في دار جهنم ليوم غير معلوم.

استطاع ظافر أن يجعل عبدول بهيبته وقوته يقف مذعورًا يرتجف أمامه ولا يقوى على فعل شيء له.

رفع عبدول رأسه بكسرة وحسرة قائلا:

- ظافر.. سأتركك تعيش في سلام، لكن قبل ذلك يجب أن تعطيني المخطوط، تقول بأنني ضعيف وأن قواي بلا فائدة دون أمر ربك، فلماذا تخشى تسليمه لي، ماذا ستفعل الآن؟!

- سأقتلك يا عبدول، لا أعلم كيف سأقتلك دون وجود كتيب الوشم الأحمر ودون وجود بتول ولكن سأقتلك.

تحرك ظافر بخطوات تجاه الحظرد متخذًا وضعًا هجوميًّا، ناظرًا إليه بحدة وثقة ليضعف قواه أكثر ويبعث في نفسه الرعب.

فجأة طعنه أحدهم بخنجر في ظهره.

صرخ ظافر وتساقطت دماؤه على الأرض والتفت خلفه ليرى من فعلها...

*****

بداية ونهاية

صُعق ظافر حين رأى وجه من فعل به ذلك وقال بكلماتٍ متقطعة فكادت أنفاسه تنقطع:

- أنتِ؟! لماذا يا بتول؟! تقتلين حبيبك من أجل هذا؟!

حملقت بتول بوجهه قائلة بحدة وخبث:

- نعم أقتلك يا ظافر.. ولم تكن يومًا ما حبيبي.. كل ذلك كان مجرد وجه آخر أرتديه، حتى أحصل على مبتغاي، وأصل إلى جدي الذي يسري دمه بعروقي، لقد تمنيت دومًا وجود أحدٍ من أهلي بجواري، كم كنت أحتاج إلى أي أحدٍ مني يضمني ويحتويني، أنت تعوّض يا ظافر بأي فارسٍ أو رجلٍ يأتي من بعدك، أما جدي فلا شيء يعوض غيابه وهو آخر ما تبقى لي.

ابتهج عبدول وشعر بسعادة غمرت كيانه.. فتح يديه عن آخرها ليضم بتول في صدره بشدة قائلًا بحبٍّ:

- وأخيرًا.. هناك من يحبني بصدق وأستطيع الوثوق به وأورثه كل علمي، بوركتِ يا صغيرتي وحفيدتي الجميلة.

طبع قبلة على رأسها وربت على كتفها ثم قال لها:

- هيا صغيرتي، ناوليني العزيف، اشتقت للمسه والنظر إليه.

تنهال دموع ظافر على وجنتيه بشدة غير مصدقٍ ما حدث له ونظر إلى بتول وهي تلقف العزيف من بين يده لتضعه بين يد الحظرد.

دخل كلٌّ من مكرب وسهر الحجرة.. صرخت سهر:

- ظــافر... لا تمُت أرجوك يا ظافر... لماذا يا عبدول؟ كان يريد رضاك وكان سيصبح مجرد خادمٍ أمينٍ لك... قتلتِه أيتها المخادعة وظن أنك حبيبته وتركني لأجلك.

- هاهاهاها.. أنا مخادعة؟! وأنتِ من تكونين يا حلوتي يا خائنة، لقد أحببتِ رجلًا وعشقتِه وأنتِ ملكٌ لرجلٍ آخر، أنسيتِه؟ (شاهين).. لماذا لا تندهشين من عدم ظهوره وحضوره لينقذني من بين أيديكم.

نظرت إليها سهر في ذهولٍ ثم قالت ودموعها تنهمر بقوة على وجهها:

- أتعلمين أين هو؟

ضحكت بتول بصوت عالٍ قائلة:

- هاهاهاها.... العجوز العاشق... أتعلمين.. جاء ليتتبعني بالفعل وينقذني ويحميني.. حين سقطت بالبئر وجدته أمامي قام بتقييد حركتي وأمرني بالقوة بالسير معه في ممرٍ ببئر برهوت.. وأراد الحصول عليّ هناك، دفعني على الأرض الصخرية في ركنٍ ما، متناسيا أنني حفيدة صاحب القوة العظمى عبدول، وعندما جثا بجسده عليّ، هاجمته الأفاعي والحشرات السامة دفعةً واحدةً وأخذت تلتهم لحمه وأمعاءه أمام عيني وكنت أتلذذ بالمشاهدة والشعور بالراحة حتى أصبح مجرد عظامٍ هشمتُها بقدمي الصغيرة تلك... تم الانتقام من قاتل أبي وأمي بشكلٍ يليق به وظهرتُ الآن لجدي حبيبي بشكل يليق بي.... (مكرب)... ماذا تنوي.. تُكمل معنا أم ماذا؟!

تلعثم مكرب وكان يرتجف بشدةٍ ثم قال:

- معكم سيدتي، بالطبع معكم إلى الأبد ومخلص لكم حتى آخر نفس.

ابتسمت بتول ثم اقتربت منه وطبعت قبلةً على خده قائلةً وهي تهمس بأذنه:

- لتذبحْها الآن وتقدم رأسها تحت قدمي كقربان... ومهر للزواج بي.

ثم ناولته الخنجر نفسه الذي طعنت به "ظافر" ليذبح سهر. ابتلع ريقه وتسارعت أنفاسه وسار تجاهها وهي تجلس باكية أمام ظافر.

ارتجفت سهر وقالت:

- مكرب، أنا أختك!... لا تسمع كلامها.. ستخدعك تلك الماكرة.. مكرب أنت الملك الشجاع آخر نسل (المكارب).. لن يكون هناك نسل لهم بعد موتنا.. أنت تحتاج إليّ.

ضحك مكرب وأمسك بشعرها بقوة قائلًا:

- وحديثك مع ظافر بالخارج.. كان عن ماذا؟! لقد كنت أسترق السمع خلف الباب وعلمت بخطتك للخلاص مني لتعيشي معه، أنتِ لا تستحقين حتى أن تدمع عيناي لأجلكِ، وسيظل نسل المكارب موجودًا وسيمتزج بنسل الحظرد، سأتزوج بتول وأنجب منها الكثير من الأطفال، وأطفالنا تنجب أحفادًا وسيظل اسمنا موجودًا على مر السنين، موتي يا سهر بجوار عشيقكِ.

ذبحها مكرب وفصل رأسها عن جسدها، ثم ألقى برأسها تحت قدم بتول فابتسمت له وقبلته مرة أخرى.

التقط عبدول أنفاسه وشعر بسعادة بالغة، فلقد تخلص للتو من كل من يهدد وجوده.. نظر إلى بتول بحبٍّ ثم قال:

- سعادتي كانت لتكتمل في وجود تيماء.

تبدلت ملامح بتول وحملقت في وجه جدها وصاحت:

- لا وجود لتيماء تلك يا جدي... تيماء ماتت منذ وقت ولادتها كما علم أبي بالضبط.. حملها بالفعل شاهين وتركها في الصحراء حتى يجدها أحد الجان ويقوم بتسليمها لعبدة الشيطان بكهف برهوت ولكن شاء القدر أن يمر على الفور بجانبها (ورل صحراء) ضخمٌ جائعٌ يلهث بحواف لسانه السامة ويلتهمها دون أن يترك أثرًا لها.. لتمضي أسطورة تيماء. ولتمضي أسطورة باهلة وكهنة الكهف الأبيض وسهر والفارس ظافر... ولتبدأ أسطورة بتول ابنة طاهر بن عبدول الحظرد... و... زوجها مكرب بن المكارب العظام...

ضحك عبدول:

- نعم يا عزيزتي.. معكِ حق.. لا أحتاج لتيماء ولا لأحد سواكِ.. هيا ألقوا بهؤلاء الجثامين إلى الخارج لتأكلهم الضباع والذئاب والنسور.. ودعوني أختلي بعزيزي العزيف قليلًا.

حمل مكرب وبتول جثة سهر أولًا وألقاها بالخارج بعيدًا عن الكهف..

فتح عبدول القماشة الملفوف بها العزيف.. وعندما أمسك صفحاته صرخ:

- العزيـــف... أين هو؟؟ ما هذا؟! الوشم الأحمر!! هذا ليس مخطوطـــي... أيها المخادع ظافر.. أين ذهبت بالعزيف؟ وكيف بدلته؟

- ليس هو يا جدي!.....

نظر عبدول إلى مصدر الصوت وأصابته فاجعة:

- أنتِ... كيف؟!!... أنا لا أفهم شيئًا.

- لا يا جدي... لستُ تيماء.. أنا بتول.. لكن بتول الحقيقية.. تيماء تصنعت بأنها أنا حتى تصدم ظافر قبل قتله هو وسهر.. لكنها لم ولن تكون أنا أبدًا.

وقفت أمامه بتول ممسكةً برمحها الأسود السميك المزين، ثم نظرت إلى جسد ظافر الملقى على الأرض قائلةً:

- هيا انهض يا ظافر بجوار حبيبتك، لقد أتقنت دورك وبمهارة لم أتوقعها.. هيا يا كسول..

وقف ظافر فجأةً مبتسمًا وضم بتول لصدره ثم تأوه قليلًا... فقالت بتول:

- سامحني يا حبيبي الدرع لم يكن سميكًا بشكل كافٍ.. لكن هذا ما جعل خطتنا تسري بشكل مقنع مع تساقط بعض قطرات الدم منك.

ضحك ظافر قائلًا:

- هاهاهاها.... يا لكِ من ماكرة يا حبيبتي... لقد تعمدتِ فعل ذلك.

وقف عبدول في ذهولٍ وأخذ ينظر خلفه منتظرًا حضور تيماء ومكرب لإنقاذه.

نظرت بتول إلى الخلف ساخرةً منه:

- ماذا يا جدي، أتنتظر أحدهم... تيماء ومكرب مثلًا!! لا تقلق سيكونان هنا في الحال.

ثم ضحكت هي وظافر بصوت عالٍ وفجأة ارتطم كل من تيماء ومكرب على الأرض أمامهم ليظهر خلفهم كهنة الكهف الأبيض وعلى رأسهم الكاهن (بسطام).

صاح ظافر:

- أبي حمدًا لله أنك بخير.

- لقد قلت لك من قبل اطمئن يا بني...

- أين باهلة يا أبي؟ هل أصابها مكروه!!

- أنا لن أموت أيها الأحمق قبل أن أرى ذاك المخلوق جثة أمامي.

ضحك ظافر:

- باهلة.. أنتِ أيضًا هنا؟

- نعم يا ظافر.. جميعنا هنا.. وجميعنا بخير... لم يستطع أحد المساس بنا.. الملائكة (المعقبات) أخبرتنا جميعًا قبل هجوم حراس مكرب علينا.. وقام الكهنة جميعًا بزرع أفخاخ حادة وضخمة بين

الأشجار حول الكوخ.. وما إن تقدموا واقتربوا منا.. حتى مات الجميع في الحال دون أن تمس أيدينا دماءهم النجسة.

ابتسم ظافر:

- حمدا لله على سلامتكم جميعًا..

نظر بسطام إلى ظافر بدهشةٍ قائلًا:

- كيف خططت لكل ذلك أنت وبتول....

ضحكت بتول:

- "لم نخطط لشيء أيها الكاهن.. بينما كنا نسير في الصحراء أنا وظافر وجلسنا ليلًا لنرتاح قبل أن نصل إلى بئر برهوت.... رأيت هناك ظل فتاة.. وأخبرت "ظافر" ولكن تصنع عدم تصديقي، ووقف لنكمل طريقنا وكانت تلك الشيطانة الصغيرة تتبع خطواتنا من البداية، وعندما ولجنا داخل الكهف وسقطت أنا كانت هي تسبقني بالأسفل وقامت بتقييدي لتحل محلي وعرقل طريقها شاهين ومات بفعل الأفاعي والحشرات الممسوسة بالجان.. الوغد ظن أنها أنا ووقع في شر أعماله.. وبينما أنا مقيدة في ركنٍ من أركان البئر، أخذت في تحريك جسدي على الأرض وتحسس كل جزء منها.. حتى وجدت الرمح في مكان ما تركته تلك الغبية دون أن تخبئه في مكانٍ آمنٍ... قمت بحل وثاقي ولم أندهش من عدم اقتراب الأفاعي والحشرات المتوحشة مني، وكأنها كانت تخشاني وعلمت أن رحمة الله بي تغشاني ومضيت في طريقي وهو الخروج سريعًا من الكهف بعد أن سمعت كل ما دار من حديث بين بعلزبول والحظرد وظافر".

قاطعها ظافر:

- "دعيني أكمل البقية أيتها الثرثارة...

عدت اليوم صباحًا إلى الكهف حاملًا العزيف ولا أدري ماذا أفعل ووقفت بعيدًا عنه للحظات وفوجئت بتلك الفتاة الماكرة تمسك بي من الخلف، لم أصدق عينيّ، وتناقشنا معًا وتوصلنا لهذا الحل فقامت بتبديل العزيف بكتيب الوشم الأحمر تحسبًّا لتغيير أي حدث بالخطة وقامت بحمايتي بهذا الدرع كأنها كانت على علمٍ بتلك الطعنة وسارت الخطة كما هي بنجاح.

صرخت تيماء:

- كنت تعلم أنني لستُ هي من البداية!...

- نعم أعلم أيتها الشريرة.. استطعتِ تبديل عينيكِ ورسم الوشم حتى تكوني صورة مطابقة بالفعل من بتول ظاهريًّا.. لكن نسيتِ شيئًا مهمًّا للغاية.. وهو دق ذاك الوشم بنفس اللون المماثل عند بتول.. لكن وشم بتول كان بيدِ ملائكة حماة ووشمك أنتِ من صُنع مارد كافر.. لن يتماثلا أبدًا.. لا ظاهريًّا ولا باطنيًّا.. مثواكِ مع جدك أيتها الشيطانة..

صاحت باهلة:

- هيا يا بتول.. حان الوقت.. لتبدأ الطقوس.. وفتح طاقة النور.. وشق الصدور.. لتمسك الأميرة برمحها الأسود المسنون، ويحضر الموت، وتصيح الأفاعي، بالبؤرة السوداء.

وقفت بتول ممسكة بالرمح موجهة إياه إلى عبدول.. متمتمة ببعض الطلاسم فصاح:

- لا يا صغيرتي.. لا تفعلي هذا بجدك أرجوكِ..

ثم قالت تيماء متصنعة البكاء حتى تستعطفها:

- بتول، أختي، توأمي، نحن كل ما لديك، دعينا نعيش معًا مع جدي ونحصل على قوته ونملك العالم، لن تقويْ على قتل جدك وتوأمك يا بتول، كفاني ما فعله بي أبي الذي قام بالخلاص مني ولم يقم بحمايتي ولم يشعرني بأبوته وحنانه ولو ليومٍ واحد، كفاني أن أراكِ أنتِ تنعمين بحبه وهو وأمي لسنوات، وبعد قتلهم كبرتِ في قصرٍ ضخم وأحبك صاحب القصر وبعدها أحبك فارسٌ وسيمٌ وقوي، أما أنا من قام بتربيتي الجان والشياطين، ومكرب أمر بتقييدي وسجني ولكن استطعت الهروب بمساعدة المارد الذي لقفني من الصحراء وسلمني لهم واستطعت تخطي بوابات الظلام تحت الأرض والتخفي بفضل المارد من الأطياف السبعة وحللت وثاقي الفولاذي بقوته، وسار يحميني بعدها، ألن تعوضيني عن كل هذا العذاب وعن الحنان الذي لم أذقه؟!

دمعت عين بتول للحظات ثم نظرت إلى باهلة وتذكرت كلماتها عن مواجهة نفسها وعدم تصديق أنها حقيقة، فنظرت إلى تيماء قائلةً بحزم:

- أنتِ لستِ توأمي، أنت نسلٌ شيطانيٌّ متصلٌ بهذا الشيطان عبدول، لا أصدق حديثك، ومن الواضح أن الحقد والغيرة متملكان

منكِ تجاهي، لم يستطع قلبك إخفاءهما ونظرات عينكِ لم تحجبهما، أنتِ الجحيم الصغير وهو الجحيم الأكبر وعليّ القضاء عليكما فأنتما تستحقان ذلك.

ثم أكملت خطواتها تجاه الحظرد متخذةً وضعًا هجوميًّا ضده، وفجأة....

عرقلها مكرب وهي تسير ثم أمسك مسرعًا بالخنجر وقام بوضعه على رقبة بتول قائلًا:

- أين العزيف... أعطوني العزيف وإلا ذبحتها الآن أمام أعينكم..

قال بسطام:

- إنه بالخارج في جعبةٍ مربوطةٍ على ظهر حصاني الأبيض.

- حسنا ليس هناك وقت للتلاعب بنا.. هيا عزيزتي تيماء.. انهضي وأحضري لي العزيف من الخارج وإن لم تجديه سأقوم بذبحها في الحال.

وقفت تيماء ناظرةً إليهم بغضبٍ وكرهٍ.. ثم أسرعت إلى الخارج باحثةً عن العزيف..

نظرت بتول إلى ظافر بعينها وكأنها تقول شيئًا ما يفهمه وحده...

ضحك ظافر قائلًا بسخرية:

- العزيف معكم منذ اللحظة الأولى أيها الغبي، تلك الصفحات التي ظهرت لعبدول ما هي إلا مجرد تشتيت له، لن تجد تيماء أي شيءٍ لأن المخطوط بين أيديكم..

تشتت مكرب ونظر إلى عبدول حتى يفتح الكتاب مرة أخرى فقفز ظافر بسرعةٍ وبقوةٍ هائلةٍ عليه وطعنه بخنجره طعنة نافذة في رقبته فسقط جثة هامدة على الأرض، المباغتة كانت في صالحه.

فتح عبدول الكتيب وأيقن أنها حيلةٌ أخرى فألقى به وحاول الإمساك بظافر بقوة لتقف بتول بشجاعة وتشق صدره برمحها القوي..

سقط عبدول على الأرض وسارت دماؤه تجري في المكان بلونها الأسود.

ضم ظافر بتول لصدره بقوةٍ ثم أسرع إلى الخارج حتى يمسك بتيماء.. لكنه صعق عندما لم يعثر عليها.. فقد امتطت فرسًا واستطاعت الهروب بعيدًا عنهم.

عاد إلى الداخل بإحباطٍ قائلًا:

- لم أجدها.. لقد هربت بعيدًا.. أبي، هل كان العزيف بالفعل على ظهر الفرس.

ابتسم والده قائلًا:

- لا تقلق يا بني.. العزيف بين يدٍ أمينة في مكانٍ بعيدٍ.. ولا تشغل بالك بتيماء.. هي مجرد فتاة ضعيفة الآن.. بلا جد ولا تابع من الجن ولا الشياطين.

- ولكن من الذي قام بحمايتها كل تلك الأعوام بعد هروبها؟

- مارد.. كما قالت.. نعم مارد من نوع آخر هو من وجدها في الصحراء رضيعة وبالفعل هاجمها (ورل) ضخم فقام بحمايتها منه

وتبناها ولكن مكرب أمره بإحضارها على أن يقوم بالاعتناءِ بها وقام بتربيتها أسفل الأرض ولكنها استطاعت بمكرها إقناعه بمساعدتها على الهروب فهو كل ما لها وتحبه وكأنه أبوها وبالفعل قام بحل قيدها الفولاذي وخرجت من أسفل الأسفلين لتنتقم منكم وتراقب كل تحركات بتول وزاد شغف انتقامها حينما رأت حبك لها وبفضل قوة المارد كانت تستطيع التخفي وكانت تنتظر اللحظة الحاسمة لتنتقم منكم.. باهلة علمت بكل ذلك وأخبرتني عندما كنا نجلس معًا ولم تخبركم حتى لا تشتت أفكاركم وتصيبكم بالقلق والذعر، صمت باهلة في محله...

- لكن يا أبي هذا المارد يمثل خطرًا الآن هو وتيماء..

- بني.. الخطر يظل موجودًا ما دمنا على وجه الأرض ورسالتنا في تلك الحقبة من الزمن هي الخلاص من ذاك الشيطان، ومحو أسطورة (عبدول الحظرد) والحمد لله أتممنا الرسالة وأدينا الأمانة هيا احمل هذا الشيطان وألقه من حيث جاء لتأكله الأفاعي والحشرات كما حدث لشاهين.... هيا ألقه ببئر برهوت مع بقية الكفار المعذبين بالأسفل.....

***

بعد مرور يومين بكوخ باهلة.

جلست بتول بجوار ظافر لأول مرة بهدوء وسكينة، يراقبان الطيور المغردة والأزهار المتفتحة وكأنهما يشاهدانها لأول مرة.

نظرت إليهما باهلة وابتسمت قائلة:

- "لا تلتفتا إلى الوراء حتى تقوما بكتابة بداية جديدة، لكنكما باستطاعتكما الآن كتابة نهاية جديدة، نهاية ألم، نهاية خوف نهاية حرمان"

ابتسما وضما بعضهما بعضًا.. ثم قال ظافر:

- هيا يا حبيبة قلب ظافر، لنكتب معًا نهاية كل ما مضى، ونبدأ في تدوين السطور الأولى فيما هو آتٍ.... أم يجب أن تظلي العذراء البتول لآخر العمر.. هاهاهاها.....

ضحكت باهلة من طريقته الساخرة وباركت لهما هي وكبير الكهنة بسطام حياتهما الجديدة...

ذهبا كعروسين إلى منزلهما الجديد، مسقط رأس بتول منذ صغرها.. منزل أبيها طاهر عبدول..

في هذا الكهف الأبيض.. بينما هناك لوح كبير يشبه الزجاج بداخله كتاب ما يقترب أحدهم بهدوءٍ وحيلةٍ ليقرأ ما كُتب على المجلد من الخارج قائلًا:

- وأخيـــرًا (العـــزيـــف).

*****

بداية النهاية

بقلم (سارة خميس)

الشر لا ينتهي ما دمنا أحياء، ويواصل الشيطان تحدي بني آدم إلى يوم الدين، ويظل كلٌّ من الحظرد وأمثاله من السحرة متربصين، باحثين عن الفساد في الأرض والبحث عن ضعفاء الإيمان ليكونوا أتباعًا لهم مصداقًا لقول الله تعالى:

﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[1]

---

[1] البقرة: ١٠٢.

(عبدول الحظرد) الذي أثار الكثير من الجدل والذعر وما زال الجميع في حيرة من حقيقة وجوده، وحقيقة اختفائه.

وإلى وقتنا الحالي، لا يعلم أحد أين ذهب مخطوط العزيف وهل بالفعل تم حرقه ومحوه إلى الأبد، أم استطاع أحدهم الحصول عليه وإخفاءه في مكان آمن، وقام بتوريث علمه لأبناء أبنائه الذين يحفظونه في مكان ما، في بلدٍ ما، أم أن كل ذلك مجرد خيال وأساطير ليس لها نصيب من الصحة، هل هي بالفعل أسطورة وخيال الكاتب الأمريكي المصاب أيضا بجنون وعلوم الماورائيات (هـوارد فيليبـس لافكرافت).

معًـا، سنظـل نبحـث.....

*****

الكاتبة في سطور

سارة محمد خميس

- ✓ كاتبة روائية، ومحررة صحفية بجريدة الحياة اليوم وميدان الرياضة.
- ✓ المسئول الإعلاني لشركة Talent Group وهي من أهم شركات المراجعة والحلول الإدارية بالإسكندرية.
- ✓ البريد الإلكتروني:

Saranovalist81@gmail.com

- ✓ **لينك البيدج:** تغريدات سارة خميس

http://www.facebook.com/sarakhamisCom

- ✓ **فيسبوك:** الكاتبة. سارة محمد

http://www.facebook.com/parfumde.roses.31

- ✓ **انستجرام:**

https://www.instagram.com/Sarakhamiscom

- ✓ **LinkedIn:**

https://www.linkedin.com/in/sara-khamis-035349177

الأعمال التي سبق نشرها

١- معصوبة العينين ..... دار الكتب للدراسات العربية.

٢- الصدمة ..... دار الكتب للدراسات العربية.

٣- غضب الحليم ..... دار تويتة للنشر والتوزيع.

٤- كشفائيل (ألف ليلة وليلة) ... دار تويتة للنشر والتوزيع.

٥- ليلة سقوط العنتيل ..... دار الكتب للدراسات العربية.

٦- قاتل زهرة الياسمين ..... دار الكتب للدراسات العربية.

٧- الهوية (باي بولار) ..... دار الكتب للدراسات العربية.

المحتويات

إهداء وشكر ٥
الإهداء الثاني ٦
المقدمة ٧
الهرب ٩
النظرة الأولى ١٥
الظن ٢٥
كهنة الكهف الأبيض ٢٩
أسطورة عبدول الحظرد ٣٧
الصدمة ٣٩
سر الوشم الأحمر ٤٧
مخطوط الشياطين ٥٧
خفايا الماضي ٨١

برهوت (الثقب الأسود) ١١٣
التحدي الأعظم ١٣٥
عودة عبدول الحظرد ١٦١
بداية ونهاية ٢٠١
بداية النهاية بقلم (سارة خميس) ٢١٥
الكاتبة في سطور ٢١٧